ظاهرة التأنيث

بين اللغة العربية واللغات السامية

دراسة لغوية تأصيلية

تأليف
الدكتور اسماعيل أحمد عمايرة
جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية
فرع المدينة المنورة

مركز الكتاب العلمي
عمان - الاردن

ظاهرة التأنيث

بين اللغة العربية واللغات السامية

دراسة لغوية تأصيلية

تأليف

الدكتور اسماعيل احمد عمايرة

جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية

فرع المدينة المنورة

مركز الكتاب العلمي

عمان - الاردن

الإهداء

وددت لو أن هذه السطور همسات عصفور، أو نغيمات شعر تنساب إلى عشي الدافىء: أسرتي: أم أحمد،وأحمد، وحنان، وأنس، ومالك.

الطبعة الاولى

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م

مركز الكتاب العلمي

ص. ب (١١٣) الجبيهة هاتف ٨٤٢٨٨٧

عمّان - الأردن

المحتوى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وبعد:

فليست الدراسات التي تناولت ظاهرة التذكير والتأنيث بقليلة. فقد تنبّه العلماء لذلك منذ زمن مبكر، دَرَسها الفرّاء (٢٠٧هـ)[1] وسعيد بن إبراهيم التستري (٣٦١هـ)، وابن جنّي (٣٩٢هـ)، وأبو البركات بن الأنباري (٥٧٧هـ)... وغيرهم. ولعلّ أوفى دراسة من دراسات القدماء لهذا الموضوع تلك التي قام بها أبوبكر الأنباري (٣٢٨هـ) في كتابه «المذكر والمؤنّث».

بَيْدَ أن هذا الموضوع ظلّ شائكاً حتى لقد وصفه بعض الباحثين[2] بأنّه من أعسر ما يواجه الباحث اللغوي.

ولا شكّ في أن جهود القدماء كانت مفيدة قيّمة في بحث هذه الظاهرة؛ فقد استطعنا من خلالها أن نقف على القواعد الأساسيّة للتأنيث القياسي وصيغه، والقوائم الإحصائية للمؤنّثات السماعيّة. وقد بذل علماء السّلف جهوداً طيّبة في ترتيب هذه القواعد والقوائم، وتبسّطوا في عرضها وشرحها نثراً أو نظماً كما فعل ابن الحاجب وابن مالك وغيرهما. ولكن مجال البحث ما يزال قائما. فقد واجهت القدماء مسائل كثيرة لم تُحلّ. وقد اشتد النزاع حولها؛ فسيبويه ـــ مثلًا ـــ كان غامضاً أحياناً في موقفه من التاء في نحو: بنت وأخت وهنت، أهي تاء التأنيث أم تاء العوض؟ وأمّا ابن منظور فيشدّد النكير على من يعدّها للتأنيث. وقد عدّها أبو البركات الأنباري للتأنيث.

وثمّة مسائل أخرى لم تواجه القدماء لأنّها لم تطرح ابتداء، كالتاء في كثير من الكلمات، نحو: السبت، والرغبوت، والرحموت.. ولكن عِلم الساميات فتح المجال إلى اعتبار التاء في هذه الكلمات ونحوها للتأنيث.

---

(١) تشير السنة المذكورة بعد اسم العلم إلى تاريخ وفاته.

(٢) انظر بيرجشترايسر ص ١١٥.

بَيْدَ أن ما يُسَوِّ غ لنا بحث هذه الظاهرة من جديد ليس بهذا ولا ذاك من المسائل الجزئيّة التي لا يُخرج الخلاف فيها عن إطارٍ تُراقب فيه الظاهرة من واجهة واحدة، إن مما يُسَوِّ غ بحث هذه الظاهرة أن أدوات البحث اللغوي وإمكاناته ومناهجه قد تيّسرت ونمَت، فكان علينا ــ حيثما استدعى الأمر ــ أن نفيد من هذه الأدوات في زيادة الإضاءة حول الظاهرة لكي نستكمل الصورة، ونستجلي معالمها التي لم تستطع الأدوات القديمة أن توضحها.

وتقوم هذه الدراسة على منهج لغوي مقارن، درست فيه ظاهرة التأنيث في العربيّة على ضوء دراسة هذه الظاهرة في شقيقاتها من اللغات الساميّة كالسريانيّة والعبريّة والحبشيّة والأكاديّة وغيرها. وهي دراسة تأصيلية تحاول أن تقدّم الحلّ لتساؤلات عديدة تجول في النفس من مثل:

ما هي وظيفة علامات التأنيث، فإن كانت للميز بين المذكر والمؤنث، فلماذا احتاجت اللغات الساميّة ــ ومنها العربيّة ــ إلى التمييز بين المذكر والمؤنث، بغير هذه العلامات، فقيل: رجل وامرأة،وحمار وأتان، وجمل وناقة.ولم يُقل ــ عادةً ــ في امرأة: رجلة، ولا في مؤنث تيس: تيسة.

ولماذا قيل: امرأة عاقر وحامل وجريح وصبور بدون علامة للتأنيث؟
ولماذا عوملت الكلمات: نفس، وأرض وبئر.. معاملة المؤنث في كثير من اللغات الساميّة دون أن تلحق بها علامة من علامات التأنيث؟

ولماذا تعدّدت علامات التأنيث، فلم تكن واحدة،فهي في العربيّة التاء المربوطة والألف الممدودة والألف المقصورة، وقد تعدّدت في كثير من اللغات الساميّة الأخرى؟
ولماذا استخدمت علامات التأنيث في نحو «سَحَرة» و «مَهَرَةُ»؟

ولماذا نجد أسماء تنتهي بتاء التأنيث جاز جمعها باعتبار أصلها الخالي من التأنيث، نحو: دمية ــ دُمى، وجفنة ــ جفان، وذروة ــ ذُرى؛ وهل لهذا من نظير في اللغات الساميّة الأخرى؟
وهل نجد في غير العربيّة من أخواتها الساميات ألفاظاً تعامل معاملة المؤنث وكان من حقها أن تذكر، نحو أرْنَب وضَبُع؟

وقد سعت هذه الدراسة إلى أن تكون شموليّة، فتناولت جنس الاسم في اللغات الساميّة، وأصل التذكير والتأنيث لغويّاً، والتأنيث الحقيقي والمجازي، والقياسي والسماعي، وعلامات التأنيث في الأسماء والأفعال إلى غير ذلك من المباحث.

نسأل الله العليّ القدير أن يسدّد خطانا وأن يغفر زلاتنا وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه.

د. إسماعيل أحمد عمايرة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المعهد العالي للدعوة الإسلاميّة

قسم الاستشراق

المدينة المنورة

غرّة رمضان المبارك سنة ١٤٠٦هـ

تعليمات للكتابة العبريّة والسريانية وما يقابلها بالعربيّة واللاتينيّة[1]

الأبجديّة العبريّة	في آخر الكلمة	الأبجديّة السريانية: في أوّل الكلمة	في الوسط	في آخر الكلمة	ما يقابلها بالعربيّة	بالحروف اللاتينيّة Transcription
א		ܐ	ܐ		ا	ā
ב		ܒ	ܒ	ܒ, ܒ	ب	b
ג		ܓ	ܓ	ܓ, ܓ	ج	ǧ
ד		ܕ	ܕ		د ذ	d ḏ
ה		ܗ	ܗ		ه	h
ו		ܘ	ܘ		و	ū
ז		ܙ	ܙ		ز	z
ח		ܚ	ܚ	ܚ, ܚ	ح خ	ḥ ḫ
ט		ܛ	ܛ	ܛ, ܛ	ط ظ	ṭ ẓ
י		ܝ	ܝ	ܝ, ܝ	ى	y (ī)
כ	ך	ܟ	ܟ	ܟ, ܟ	ك	k
ל		ܠ	ܠ	ܠ, ܠ	ل	l
		ܠܐ	ܠܐ		لا	
מ	ם	ܡ	ܡ	ܡ, ܡ	م	m
נ	ן	ܢ	ܢ	ܢ, ܢ	ن	n
ס		ܣ	ܣ	ܣ, ܣ	—	s
ע		ܥ	ܥ	ܥ, ܥ	ع غ	ʿ ġ
פ	ף	ܦ	ܦ	ܦ, ܦ	ف	f
צ	ץ	ܨ	ܨ		ص ض	ṣ ḍ
ק		ܩ	ܩ	ܩ, ܩ	ق	q, ḳ
ר		ܪ	ܪ		ر	r
שׂ שׁ		ܫ	ܫ	ܫ, ܫ	س ش	s š
ת		ܬ	ܬ		ت ث	t ṯ

(١) لقد استعملنا في هذا البحث الأبجديّة العبريّة والأبجدية السريانية والحركات الكتابيّة في اللغتين المذكورتين، ولذا كان لزاماً أن نبدأ بالتعريف الموجز بها، وبما يقابلها بالعربيّة، وبالحروف اللاتينيّة بما يتناسب مع الأصوات الساميّة.

الحركات العبرية

١ ـ الحركات الصغرى

الحركة	تسميتها	اللام مشكولة بها	طريقة النطق بها
ַ	פַּתַח بتاح	לַ	لَ
ֶ	סֶגּוֹל سيجول	לֶ	لِ (بالإمالة) Lé
ִ	חִירִיק קָטָן حيريق قطان	לִ	لِ
ָ	חוֹלָם קָטָן حولام قطان	לָ	لُ بالضمة المفتوحة Lo
ֻ	קִבּוּץ قبوص	לֻ	لُ

٢ ـ الحركات الكبرى

الحركة	تسميتها	اللام مشكولة بها	طريقة النطق بها
ָ	קָמַץ قماص	לָ	لا
ֵ	צֵירֶה صيري	לֵ	لي (بالإمالة) Lé
ִי	חִירִיק גָּדוֹל حيريق جدول	לִי	لي
וֹ	חוֹלָם גָּדוֹל حولام جدول	לוֹ	لو (بالضمة المفتوحة) Lo
וּ	שׁוּרוּק شروق	לוּ	لُو

الحركات السريانيّة
(حسب النظام الغربي، أي: اليعقوبي)

الحركة	تسميتها بالسريانيّة	توضيح
◌ܰ	Pṯāḥā	وهي فتحة قصيرة، ويقابلها من الحروف اللاتينيّة a
◌ܳ	Zqāfā	وهي ضمة طويلة ممالة[1]، ويقابلها من الحروف اللاتينيّة ō
◌ܶ	Rḇāṣā	وهي كسرة ممالة، ويقابلها من الحروف اللاتينيّة e
◌ܺ	Ḥḇāṣā	وهي كسرة طويلة ويقابلها من الحروف اللاتينيّة ī
◌ܽ	ʿEṣāṣā	وهي ضمةطويلةأو قصيرة،ويقابلهامن الحروف اللاتينيّة u

(١) وهي بطريقة النطق الشرقية فتحة طويلة، وهذا هو الأقرب إلى النطق العربي.

جنس الاسم في اللغات السّاميّة

من القواعد المُقَرّرة في العربيّة أنّ الاسم يُقسم من حيثُ الجنسُ إلى قسمين: مُذكّرٍ ومُؤنّث، وهي قاعدة مقرَّرةٌ في اللغات الساميّة الأخرى، ولا يُعْرَف خُروجٌ على هذه القاعدة المطردة من أيٍّ من لغات الأُسرة السّامية، وحتّى ذلك القسم الثالث: «الخُنْثى» «الذي لا يَخلص لذَكرٍ ولا أُنثى»[1]، تعاملتْ معه اللغةُ مُعاملة المذكَّر أو المؤنث، ولم تخصَّه بمعاملةٍ تميِّزه. لقد أُلحقت العربيّة بكلمة «خُنْثى» الألف المقصورة، وهي من علامات التأنيث، وجمع على «خناثى»، كما تجمع حُبْلىٰ على حبالَىٰ. وقيل: رَجُل خُنَث، على وزن: لُكَع، وامْرأة خَناث، على وزن: لَكاع. وهكذا نجد أنّ هذا القسم الذي تفرَّد في الطبيعة والمعنى، وتميّز، لم يتميّز من الناحية اللغوية الشكلية بمعاملة تخصُّه من حيث هو جنس ثالث مستقل.

وهكذا عُوملت سائرُ الموجودات: فهي إمّا مؤنثة وإن لم يكن لها مُذكّر من جنسها، أو مُذكّرة وإن لم يكن لها مؤنّث من جنسها. وهذا ما عُرف بالتذكير المجازي كالقَمَر والحَجَر، أو مؤنّثة تأنيثاً مجازيّاً كالشّمس والعين. وهذا ما سَلكَتْه اللغات الساميّة بعامّة مع الموجودات الكونيّة، فهي إمّا مذكّرة أو مؤنثة، وقد تُعامل اللفظة الواحدة معاملة المذكّر حيناً ومعاملة المؤنّث حيناً آخر، كالطريق والسبيل.. ولكن هذا لا يخرجها عن قاعدة المذكّر والمؤنث.

وقد يخيّل للمرء الذي يفكّر تفكيراً محليًّا داخل إطار إحدى اللغات الساميّة أو ضمن إطارها عموماً أنّ هذه هي الحال في اللغات الأخرى، ولكن الأمر ليس كذلك، فممّا يقرّره علماء اللغة أن بعض اللغات البدائيّة تُنوّع أجناس الموجودات الكونيّة تنويعاً طريفاً، ويربطون ذلك التنوع بمعتقدات تلك الشعوب وتأمّلاتها الخرافيّة[2].

---

(١) ابن منظور: (خنث).

(٢) انظر بروكلمان (١٩١٦) ص ١٠٦ ــ ١٠٧.

ولنأخذ مثلًا من اللغات الهنديّة الأوروبية لنرى كيف تتعامل هذه اللغاتُ مع موجودات الكون من زاوية الجنس.

فالألمانيّة تَقْسم الأشياء إلى مذكّر، ومؤنّث، ومحايد. أمّا المذكّر على الحقيقة ـــ أي: الذي له مؤنث من جنسه ـــ فهو في الغالب مذكّر في جنسه اللغويّ، وله أداة تميِّزه في حالِ الرفع هي: der وكذلك المؤنّث على الحقيقة، فإنّه مؤنّث من حيث التعامل اللغويّ، وأدواته المميّزة هي: die وثَمَّة جنس ثالث، وهو ما ليس بمذكّر ولا مؤنّث من حيث التعامل اللغوي، وله أداة خاصّة به، هي: das ولا نريد أن نخوض في ما لهذه القاعدة من مُلابسات ليس هذا مقامها. فحسبنا أن نرى كيف أنّ اللغة الألمانيّة لا تكتفي بتعاملها مع الأسماء من خلال قسمتها إلى مذكّرٍ ومؤنّث، فثمة جنس آخر، هو المحايد Neutral. وعلى هذا فإنّ كلمة: Mann «رجل» مذكّرة، وكلمة: Frau «امرأة» مؤنّثة. وأمّا المحايد فنحو Kind «طفل» أو «طفلة». ولكن هذه القاعدة لم تبق على حالها مع تطوّر الزمن، حتّى غدا التفريق بين المذكّر والمؤنّث والمحايد لا يعتمد على الواقع الطبيعي لهذه الأشياء بمقدار ما يعتمد على علامات لغويّة بحتة لا علاقة لها بجنس الشيء في الطبيعة. وعلى هذا فإن كلمة Hund «كلب» هي مذكرة، وأمّا Pferd «حصان» فهي محايدة، و Taube «حمامة» فمؤنّثة. والعُهدة في مَيْز هذه عن تلك مناطُها علاماتٌ لغويّة تعود إلى نوع الأداة المستخدمة معها (der للمذكر، و die للمؤنث، و das للمحايد) أو إلى اللواحق التي تلحق بالصفات، أو أنواع الضمائر التي استخدمت معها (er «هو» للمذكر، sie «هي» للمؤنث، es للمحايد).

أمّا **الإنجليزية** فقِسْمةُ الأشياء فيها على ميزان آخر، فهي إمّا مذكّرة عاقلة، أو مؤنثة عاقلة، أو غيُر عاقلة بغض النظر عن جنسها في الطبيعة، ومما يجدر ذكره أنّ الإنجليزيّة ألْغت الفروق الشكليّة بين ما هو مذكّر ومؤنّث، وغير عاقل ولم يعد باقياً منها سوى الضمائر: he, she. it.

واعتبار العقل وعدمُ اعتباره ما كان ليغيب عن العقليّة العربيّة لغوياً فقد عاملت العربيّة جمع غير العاقل معاملة المفرد المؤنّث، فيقال: هذه جِمال، وتلك جبال، إلى جانب: هؤلاء وأولئك على نحو ما ورد في القرآن الكريم ﴿ إنّ السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾[1]

أمّا اللغة **الفارسيّة** فهي لا تضع أيّ علامة شكليّة لغويّة للتمييز بين المؤنّث والمذكّر. فهي لا تَمِيْزُ في الضمائر والصفات بينهما، وتترك للسياق وحدَه أن يُحدّد المقصود. فالضمير: «تو» يعني: «هو» أو «هي». و «شما» تعني: أنتم وأنتما، وأنتنّ. وكلمة «سَفيد» معناها: أبيض أو بيضاء، وكلمة «فاضل» معناها: فاضل أو فاضلة. وحتّى في الأسماء فهي كثيراً ما تُطلق الكلمة الواحدة لتعني بها المذكّر والمؤنّث، دون أن تحتاج بالضرورة إلى كلمة «نَرْ» ومعناها «ذَكَر» أو كلمة «مادِه» ومعناها «أنثى»[2]. فكلمة «شِيْر» معناها «أسد» أو «لبؤة» وكلمة «گاو» تعني «بقرة» أو «ثور».

وهكذا فإنّ الأُسس التي بُني عليها هذا التقسيم تختلف من لغة إلى أخرى، وفقاً لتصوّرات الشعوب ــ عبر تاريخ كل منها ــ لموجودات هذا الكون.بل إنّ بعض اللغات لا يأخذ بمفهوم «الجنس» باعتباره قسماً من أقسام النحو، ويحلّون محلّه مفاهيم أخرى، مثل الطبقة أو ترتيب الأشياء بحسب أهميّتها[3]، وعلى أسس مختلفة تماماً، كما ــ في لغات البانتو وبعض اللغات الأصليّة في القارة الأمريكية[4].

---

(١) سورة الإسراء، الآية ١٧.

(٢) قد تفعل العربيّة نحو هذا في الأسماء التي تقع على المذكر والمؤنث دون مَيْز فعندئذ يقولون: عقرب ذكر وعقرب أنثى وضبع ذكر وضبع أنثى. انظر أبا بكر الأنباري ص ٩٣.

(٣) انظر: ماريو پاي في كتابه: لغات البشر ص ٣١.

(٤) انظر بروكلمان (١٩٠٨) ١/٤٠٤.

فاللغات الساميّة لم تخرج عن قاعدة تحصر فيها الأشياء في نوعين: مذكّر ومؤنث، وهذه القاعدة مع قواعد أخرى كثيرة تؤكد أنّ وجه الشبه بين لغات هذه الأسرة أوسع من ذاك الذي يجمع بين مجموعة اللغات الهنديّة الأوروبية.

ويرى بعض الباحثين أن الجنس في اللغات الساميّة ربما كان ذات يوم يتجاوز حصره في المذكّر والمؤنّث، فيرى كلّ من بروكلمان وفيشر أن هذا التقسيم قد تمّ في مرحلة متأخرة نسبياً، ويتخيل بروكلمان[1] أن اللغات الساميّة ربما كانت ذات يوم على نحو ما هي الحال في لغات البانتو وبعض اللغات الأصلية في أمريكا، أي من اللغات التي لم تعرف هذا التقسيم الذي يعتمد على سَلْك الموجودات في منظومتين متوازيتين: المذكّر والمؤنث.

---

(١) انظر بروكلمان (١٩٠٨) ١/٤٠٤.

المؤنّث الحقيقيّ والمؤنّث اللغويّ

قد يلتقي غير علمٍ من العلوم على إحدى الألفاظ اللغويّة، ولكن مدلول تلك الكلمة يختلف اصطلاحاً من علم لآخر، ولنأخذ مثلًا على ذلك مصطلح «فاعل» فهو مرادف للمجرم في «القانون»، وهو مرادف للعامل في مجال الزراعة والعمل الحِرْفيّ، وهو في «اللغة» غير هذا وذاك. ولذا كان لزاماً أن يُراعى ما اصْطُلح عليه في كل فن من هذه الفنون، وإلّا حصل اللبس بل التناقض أحياناً؛ ومن ذلك ما يقع فيه بعض التلاميذ من خَلْط بين مفهوم «الفاعل» و «المفعول به» لغة واصطلاحاً في نحو: مات الرجلُ أو انكسر الزجاج.. ثمّ يتساءل: كيف يكون الرجل أو الزجاج فاعلًا وهو المفعول به في المعنى؟ إنّه لم يستوعب بَعْدُ الفرقَ بين المدلول الاصطلاحي للفاعل أو المفعول ومدلول الكلمة اللغوي قبل الاصطلاح بوصفها مفردة من مفردات اللغة.

أمّا المصطلح اللغويّ فهو، وإن كان المدلول المعنويّ المعجميّ قد يُلمس فيه على نحو أو آخر، إلّا أن المدلول اللغويّ الشكليّ المحض قد يُؤخذ في الاعتبار أكثر من سواه، وعلى هذا صحّ أن تَعْتَبر «الرجلُ» أو «الزجاجُ» فاعلًا للفعل «مات» أو «انكسر».

لذا كان لزاماً أن يميّز بين مدلول «المؤنّث» من الناحية الاصطلاحيّة وفقاً لما يتطلبه علم اللغة، والمفهوم المعجمي أو التشريحي. فهذه المفاهيم، وإن كانت تلتقي بمقدار، إلّا أنها تفترق بمقدار قد يقلّ أو يزيد عن مقدار ما التقت عليه، بل قد ينقلب إلى الضدّ، فيصبح المؤنث في المصطلح اللغويّ نحو معاوية، وطلحة، مذكّراً في الحقيقة والمعنى.

أمّا المؤنّث على الحقيقة فهو كما قال أبو البركات بن الأنباري «ما كان له فرج الأنثى»(١). وأمّا المؤنث اللغوي ــ اصطلاحاً ــ فهو ما دلّت عليه علامة من علامات التأنيث، سواء أظهرت على الكلمة نفسها نحو: فاطمة وليلى وصحراء، أم ظهرت في السياق، دون الكلمة نفسها نحو: قامتْ هند، وهذه دَعْدُ، أو فيهما معاً، نحو: أنتِ ليلى، أو في أحدهما دون الآخر، نحو: هذا معاوية، فإن «هذا» للمذكّر لأن المشار إليه مذكّر على الحقيقة، وهو ــ أي: معاوية ــ مؤنّث من الناحية اللغوية الشكليّة.

إنّ تفريقاً كهذا بين المذكّر والمؤنّث، وبين المؤنّث في الاصطلاح والمؤنّث على الحقيقة، مع أخذ السياق بعين الاعتبار، من شأنه أن يساعد في ضبط قواعد هذا الباب لتجري على قياس مطّرد، فلا تظل على ما وصفها به ابن التُّستري بقوله «ليس يجري أمرُ المذكر والمؤنّث على قياس مطّرد ولا لهما باب يحصرهما كما يّدعي بعض الناس»(٢) وقال في موطن آخر «ووصفوا أنّ المذكّر: هو الذي ليس فيه شيء من هذه العلامات، مثل زيدٍ وسعدٍ، وقد يوجد على هذه الصورة كثير من المؤنّث مثل هَنْد ودَعْد...»(٣)

---

(١) أبو البركات بن الأنباري ص ٦٣، وانظر ابن يعيش ٩١/٥

(٢) ابن التستري ص ٤٧.

(٣) ابن التستري ص ٤٩.

أصل التذكير والتأنيث لغويّاً

يبدو من كثير من الكلمات العربيّة، وكذا الساميّة الأخرى، بله غير الساميّة أيضاً أنّ التفريق بين المؤنّث والمذكّر الحقيقيين فيها لم يكن من خلال هذه العلامات التي عُرفت فيما بعد بعلامات التأنيث. فإن الاختلاف بين المؤنث الحقيقي والمذكر الحقيقي لم يتم عن طريق العلامة اللغويّة كما في «كريم» و «كريمة»، بل تمّ عن طريق اختلاف اللفظ، كما في «أب» و «أمّ». وهذا ما نجده في اللغات الساميّة الأخرى. انظر مثلًا لذلك بعض الكلمات السّاميّة المشتركة، وهي:

العربيّة الفصحى	الأكاديّة	العبريّة	الآراميّة	العربيّة الجنوبيّة والحبشية
أمّ	ummu	ēm	emmā	emm
أب	abu	āḇ	aḇā	ab
ذكر	zikaru	zaẖār	dehrā	ḏkr
أنثى	aššatu	īššā	attā	anèst

وقارن ذلك ببعض الكلمات المشتركة بين بعض اللغات الهنديّة الأوروبيّة، وهي:

الألمانيّة	الإنجليزيّة	الفارسيّة	المعنى بالعربيّة
mutter	Mother	مادَر	أم
Vater	Father	بِدَر	أب
Bruder	brother	بَرادر	أخ

إنّها كالساميّة لا تعتمد على العلامة في التفريق بين المذكر والمؤنث الحقيقيين. وقد ظلّت كثير من الأسماء المتمكّنة الحقيقيّة التذكير متميّزة بمادتها اللفظيّة عن قبيلتها المؤنثة(١). ومن أمثلة ذلك في العربيّة: الأب، والجَمَل، والذَّكر، والكبش..

(١) يفهم من قول ابن هشام في أوضح المسالك ٤/٢٨٦ «وقد أنثوا أسماء كثيرة بتاء مقدرة» أن الأصل في مثل هذه الكلمات أن تكون منتهية بتاء التأنيث وهذا يخالف ما ذهبنا إليه من أن التأنيث لم يكن عماده في الأصل العلامة اللغويّة، بل عن طريق المخالفة اللفظيّة بين مادة المذكر والمؤنث كما في: «أم» و «أب».

التأنيث المجازي والتذكير المجازي

من الراجح أنّ حَمْلَ الأشياء على المذكّر أو المؤنّث مجازيّاً أمر مَنوط بتصوّرات الشعوب لهذه الأشياء، فما اقترب في شكله أو صفته أو قرينة تربطه بالأنثى الطبيعيّة جعلوه مؤنثاً، وإن اقترب من المذكّر في أذهانهم عاملوه معاملة المذكّر الحقيقي.

ولمّا كانت أذواق الناس تتفاوت كما تتفاوت عاداتهم وتتمايز تقاليدهم وأعرافهم، رأينا أنّ اللغات تختلف باختلاف الأمم في اختلافها على تذكير الأشياء أو تأنيثها مجازياً. فقد تؤنث الألمانيّة ما تذكره غيرها، وقد تؤنث العربية ما تذكره هاتان اللغتان. وقد تختلف الأعراف في اللغة الواحدة، فنجد ألفاظاً يجوز فيها التذكير والتأنيث.

ومن أمثلة ذلك في العربيّة أن «الريح» تؤنث كما في قوله تعالى ﴿ولسليمان الريح عاصفة﴾(١) وتُذكَّر كما في قوله تعالى: ﴿ريح عاصف﴾(٢).

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٨١.

(٢) سورة يونس، الآية ٢٢.

وفيما يأتي طائفة من الأسماء السريانيّة التي جاز فيها التذكير والتأنيث:

الكلمة	معناها	الكلمة	معناها	الكلمة	معناها
ديرا[1]	دير	شمايا	سماء	شِمْشَا	شمس
سهرا	شهر	شاقا	ساق	شِبْلا	سنبلة
حوطرا	عصا	روحا	روح	زبنا	زمن
حيكا	حنك	بعيرا	قطيع	حَچلا	حجل

وقد حصل مثل هذا في العبريّة والأكاديّة كما سنبيّن. ويلاحظ أن كثيراً من الألفاظ التي أجيز فيها التذكير والتأنيث في اللغة الساميّة الواحدة قد أجيز فيها التذكير والتأنيث في لغة ساميّة أخرى، ومن ذلك مثلًا أن كلمات نحو: روح، وطريق، وريح قد أجيز فيها التذكير والتأنيث في كل من العربيّة والعبريّة والسريانيّة.

(١) تقابل الألف التي تنتهي بها هذه الكلمة السريانية ال التعريف بالعربيّة.

ولعلّ هذه الظاهرة تشير إلى ما يأتي:

أولًا: إنّ التقاء هذه اللغات على جواز التذكير والتأنيث ربما كان عائداً إلى مرحلة زمنيّة بعيدة قبل أن تنفصل هذه اللغات انفصالًا بيّنا. فلّما انفصلت كل لغة عن الأخرى حملت كل منها قدراً من الإرث اللغوي المشترك، يتضمن فيما يتضمن هذه الألفاظ التي أجيز فيها التذكير والتأنيث.

ثانياً: إن جواز تذكير بعض الألفاظ أو تأنيثها في اللغة الواحدة قد يتأتّى من اختلاف القبائل الناطقة بهذه اللّغة في اصطلاحها على الأشياء مذكّرة أو مؤنّثة، ومع الزمن اختلط على الناس التذكير والتأنيث في هذه الألفاظ فجاز فيها الوجهان. ومن أمثلة ذلك ما يحصل في وقتنا هذا إزاء الألفاظ المعربّة عن لغات أجنبيّة كالراديو والتلفاز والتلفون.. فبعضنا يذكّرها ومنّا من يؤنثها، ومع الزمن قد يختلط الأمر، فيجوز الوجهان على الخيار. وإلا فكيف يكون لنا أن نفسر شواهد كثيرة تؤنّث فيها الكلمة أحياناً وتذكّر أحياناً، ومن ذلك المصدر، فهو وإن شاع فيه التذكير، إلّا أنه ورد مؤنّثاً في نحو: أوجعني ضربُك وأوجعتني ضربُك، والقتل في سبيل الله مُمصممصة، وسائل بني أسد ما هذه الصوت[1]

ثالثا: ربما أملى هذا الاتفاق ما أُشْرِبت به هذه الشعوب من أعرافٍ لغويّة ظلّت تسري بينهم حتى بعد استقلال كل لغة عن الأخرى، بل إنّ كثيراً من هذه العادات اللغويّة ما تزال قابلة للاطّراد الى يومنا هذا، ومن ذلك ــ مثلًا ــ أن أسماء المدن يَغْلب أن تكون مؤنّثة في اللغات الساميّة، فيقال: هذه دمشق وهذه طرابلس.. الخ وهكذا تَسْلُك هذه اللغات بعد دهرٍ طويل من انفصالها القاعدة نفسها مع المدن الجديدة؛ فيقال هذه نيويورك، ولندن، وباريس.. بوصفها أسماء مؤنّثة جرياً على القاعدة نفسها: وهي تأنيث أسماء المدن.

---

(١) انظر ابن جني (خصائص) ٢/٤١١ ــ ٤١٨، وقد وردت تلك الشواهد وغيرها لدى «فيشر» (١٩٠٦) ص ٨٤١.

فئات أسماء مجازيّة اتّفقت بعض اللغات الساميّة على تأنيثها أو تذكيرها

١ ــ فئات تَدُلّ على المذكّر.

وذلك إذا دلّ الاسم ــ غالباً ــ على شَعْبٍ كالعرب والفرس والروم، وإذا دلّ الاسم ــ غالباً ــ على جَبَل، أو نهرٍ، أو بحرٍ. ولعلّ التذكير عائد إلى إضمار كلمة «شعب» (= «عم» في العبريّة والآراميّة)، و «جَبَل» (= «هار» في العبريّة = «طورا» في الآراميّة)، و «نَهْر» (= «نهار» في العبريّة = «نهرا» في الآراميّة)، و «بحر» (= «يام» في العبريّة = «يَمَّا» في الآرامية[1]). وتدلّ هذه الكلمات على مذكّر.

٢ ــ فئات تدلّ على المؤنث؛ ومن ذلك:

أ ــ إذا دلّ الاسم على أعضاء الجسم المزدوجة كالعين والأذن واليد، أو المتعددة كالسن.

ب ــ أو إذا دلّ الاسم على مدينة كالقدس، وحلب، وبغداد.

جـ ــ وثمّة أسماء عديدة كان تأنيثها سماعيّاً في كثير من اللغات الساميّة كالعربيّة والعبريّة والسريانية، ومن ذلك الأسماء الآتية: الكاس، والعصفور، واللسان، والنار، والبئر، والحجر، والأرض...

أمّا ما اتفقت فيه اللغات الساميّة قياسيّاً، أي من خلال علامات التأنيث المعتادة في هذه اللغات فهو أوسع بكثير من أن يسمح به المقام.

---

(١) واليّم في العربيّة هو البحر.

دلالة الصفات المؤنّثة بغير علامة تأنيث

وذلك نحو: جريح، ومِنحار، وصبور، ومُرْضِع، وحامِل، وعاقِر، ومِغْشَم، ومُطْفِل، ومُغْيل.. ولعلّ هذا راجع إلى مرحلة قديمة من عمر اللغة لم تكن فيها علامات التأنيث قد استخدمت بَعْدُ، فقد كان المؤنث لغوياً يعامل بما يعامل به المذكّر. ومن المعروف أن علامات التأنيث في الصفات أكثر منها في الأسماء الخالصة في الاسميّة كفرس، وعين، ونفس. وقد أشار ابن هشام لذلك بقوله: «الغالب في التاء أن تكون لفصل صفة المؤنث من صفة المذكر»[1] ولعلّ في هذا إشارةً إلى أنّ اللغة العربيّة ــ وكذا اللغات الساميّة ــ تحفل بالمذكر أكثر من المؤنّث، فكانت الغلبة لصيغة التذكير في الأسماء والصفات. فالتأنيث فرع التذكير ــ كما قال ابن يعيش[2]ــ ولذا احتاج المؤنّث إلى علامة ولعلّها ظاهرة إنسانيّة عامّة أن يحفل بالذكور أكثر من الإناث. فالألماني يقول: man sagt (ومعناها: يُقال، أو قال أحدٌ ما) وكلمة (man) مأخوذة من كلمة mann التي هي «رجل» وهي في مقام أداة للبناء للمجهول. والصفات حين تكون خبراً في كثير من اللغات تظلّ في حالة التذكير: فيقال مثلًا في ما ترجمته: «المرأة جيدة»:

ــ بالإنجليزية: The woman is good.

ــ وبالألمانية: Die Frau ist gut.

ــ وبالفارسيّة: زن خوب است.

فالكلمات good و gut و «خوب» لم تَلْحق بأيٍّ منها علامة تأنيث، بل ظلّت على حالها التي يُخبر بها عن المذكّر، وحتى في غير الإخبار، أي: حين تكون الكلمة صفة، فإنها تبقى مع المؤنث على حالها مع المذكّر في الفارسيّة والإنجليزية، فيقال بالإنجليزية:

The good man «الرجل الطيّب»

The good woman «المرأة الطيبة»

---

(١) ابن هشام (أوضح..) ٢٨٧/٤.

(٢) ابن يعيش ٨٨/٥.

وبالفارسيّة:

مردِ فاضلي «الرجل الفاضل»

مادرِ فاضلي «الأم الفاضلة»

أمّا الألمانيّة فقد مالت إلى التخصيص في هذه الحال فميّزت بين المذكّر والمؤنّث، فقيل: guter Mann «رجل طيب» و gute Frau «امرأة طيّبة» وفي «المحايد» gutes Kind «طفل طيّب» (= طفلة طيّبة).

ويدل هذا المثال الهندي الأوروبي على كيفيّة التدرج الذي سارت فيه هذه اللغات من التعميم الذي يستوي فيه المذكّر والمؤنّث إلى التخصيص — في الألمانية — الذي يُفْصَل فيه بين المذكّر والمؤنث. أما اللغات الساميّة فيبدو أنّها جميعاً قد تجاوزت مرحلة التعميم إلى التخصيص، وذلك منذ زمن بعيد، ولم يبق من آثار مرحلة التعميم سوى آثارٍ قليلة كتلك الألفاظ التي ما زالت تحتفظ بها العربيّة شاهداً من شواهد قِدَمِ هذه اللغة، أعني ما جاء مؤنثاً بغير علامة تأنيث من الصفات، نحو: امرأة حامل، وامرأة صبور... وما شاكل ذلك.

الميل إلى التخصيص في اللغات الساميّة من خلال تحديد الجنس

ويُظهِرُ الميلَ إلى التخصيص في اللغات الساميّة ــ فيما نحن بصدده من الحديث عن ظاهرة التذكير والتأنيث ــ ما نجده من مَيْل إلى الفصل الواضح بين المذكّر والمؤنّث. فهي قد بَسَّطت الأمر فكانت حاسمة حين حصرته في نوعين فحسب: المذكّر والمؤنّث، وكانت حاسمة في اطّراد ظاهرة التذكير والتأنيث، وهذا ما نجده في صيغ الأفعال والصفات والضمائر. ولنضرب مثلًا على ذلك بما يقابل الضمير you في الإنجليزية (= du بالألمانيّة و «تو» بالفارسيّة ومعناه في كلّ هذه اللغات أنتَ أو أنتِ على حدٍّ سواء دون تفريق بين المذكّر والمؤنّث). وانظر فيما يأتي إلى صورة هذا الضمير في اللغات الساميّة الآتية:

	العربيّة	الحبشيّة	الأكاديّة	العبريّة	الآراميّة
المخاطب	أنْتَ	أنْتَ	أتَّ	أتَّا	أنْتَ
المخاطبة	أنْتِ	أنْتِ	أتِّ	أتِّ (أتْ)	أتّ

ومن هذا الجدول يتبيّن التفريق الواضح بين المذكّر والمؤنث مقارناً بتلك اللغات التي تنتمي إلى أسرة اللغات الهنديّة الأوروبيّة. ولو اتَّسعت المقارنةُ لتشمل بقيّة الضمائر في الأسرتين الساميّة والأروبيّة لوجدتَ أنّ الأمر لا يكاد يختلف إلّا في حالات قليلة (كتمييز اللغات الهنديّة الأوروبيّة بين المفرد الغائب والمفردة الغائبة) أمّا اللغات الساميّة فتُصِرُّ على التخصيص في أغلب الأحوال (إلّا في ضمير الغائبين: هما، والمتكلِّم: أنا، والمتكلمين: نحن، فكل منها يصلح للمذكّر والمؤنث، ولكنّ

بعض اللهجات العربيّة أخذت تميل إلى التخصيص، فيقول الرجل: أنا وتقول المرأة: أني، قياساً على أنتَ وأنتِ)[1].

وتُخَصِّص اللغات الساميّة في صيغ الأفعال، فَتَمِيْزُ المذكّر من المؤنّث على نحو ما سنبيّن عند الحديث عن ظاهرة التأنيث والتذكير في الأفعال.

وبصرف النظر عن تلك الفئة، من الصفات التي لم تظهر عليها علامات التأنيث ــ نحو: مُرْضِع، وحامل، وعاقر، وهي قليلة نسبيّاً ــ فإنّ اطّراد ظاهرة التأنيث ــ فيما يبدو ــ قد جاء في مرحلة تالية لاطّراده في الأسماء؛ يستدل على ذلك من أنّ صفات جميع الأسماء المتمكنة المؤنثة تؤنّث بعلامات التأنيث، سواء في هذا أظهرت عليها علامات التأنيث أم لم تظهر، فيقال: أرض خصبة، ونفس مطمئنّة وفاطمة مؤمنة. ومن الأسماء المؤنّثة في الأكاديّة بدون علامة تأنيث كلمة ummānum وتعني «جَيْش»، و mātum وتعني «بَلَد» فلو وصَفْتَ لقلت:[2] ummānum nakratum «الجيش المعادي»، و: mātum rapaštum «البلاد الواسعة» فالاسمان ــ هنا ــ اللذان جاءا مؤنثين بدون علامة تأنيث جاءت صفتاهما مؤنثتين بعلامة تأنيث كما هي الحال السابقة في العربيّة. والأرض في السريانيّة مؤنّثة بدون علامة تأنيث. فلو وصفتها لقلت «أرْعا رَبِّتا»[3] arʿā rabtā. وتقول في ترجمة «أرض واسعة» إلى العبريّة: «إرِص رِحَبَا»[4] erèṣ reḥàbā.

---

(١) عرفت العربيّة مثل هذا القياس في الميز بين المذكر و المؤنث، ومن ذلك ما حصل في «ذا»، نحو: ذا أخوك، و «ذي» نحو: ذي أختك، على نحو ما هي الحال في أنتَ وأنتِ. انظر ابن منظور (ذا) والجوهري (ذا).

(٢) أصل هذه الكلمة nakr، ويقابلها في العربية النكرة أو المنكر، أي: المجهول وتعني المعادي. ولا تخفى الصلة بين العداء والإنكار، حتى قيل الإنسان عدو لما يجهل أي: لما ينكر. وأما at فهي علامة التأنيث التي يقابلها في العربية التاء التي فتح ما قبلها نحو: كريمة وأما um فيقابلها في العربية un أو التنوين.

(٣) تعني أرعا : الأرض، أما الألف التي في آخر الكلمة فهي تقابل «ال التعريف» في العربية، وأما العين في السريانية فيقابلها ــ وفقاً لقانون المقابلات الصوتية بين اللغتين ــ حرف الضاد وأما كلمة «ربتا» rabtā فيقابلها في العربية ربا يربو بمعنى ازداد واتسع، ومنها: الربا وهو الزيادة. وأما التاء فهي للتأنيث، والألف: أداة التعريف، وأصلها هاء وألف.

(٤) تقابل كلمة «إرص» العبرية كلمة أرض العربية ــ فالصاد تقابلها الضاد ــ وتقابل: «رِحِبا» العبرية: «رحبة» في العربية.

وحتّى الصفات التي وردت مؤنثة بدون علامة تأنيث فقد جاءت أيضاً بعلامة تأنيث أحياناً؛ فكلمة «مُرْضع» صفة اخْتُصَّت بها الإناث، وهي بدون علامة تأنيث، ولكنها وردت أيضا بعلامة تأنيث في قوله تعالى ﴿ يوم ترونها تذهل كل مُرضعة عّما أرْضَعَت ﴾[1]، وقيل إلى جانب: امرأة طالق: امرأة طالقة، ومن ذلك قول الأعشى:

أجارتنا بيني فإنّك طالقة   كذاك أمور الناس غادٍ وطارقة

ومن ذلك أيضاً أن يقال في المرأة حبيب وحبيبة[2] وواله وواهة[3] إلى غير ذلك مما يضيق المقام عن حصره.

ولعلّ الرغبة في أن تطّرد القاعدة هي التي جعلت الاستعمال اللغوي يميل إلى إدخال علامة التأنيث على الألفاظ المؤنثة تأنيثاً سماعيّاً، أي المؤنثة بدون علامة تأنيث.

---

(١) سورة الحج: الآية ٢.

(٢) انظر ابن منظور (حبب).

(٣) انظر ابن منظور (وله).

التأنيث القياسي

يُعد القياس من أهم الوسائل التي تُساعد المستعمل اللغويّ في ائتلاف اللغة، والأخذ بناصيتها، وهو من السُّبُل المنطقيّة التي يحاول المرء من خلالها الدخول إلى الظاهرة اللغويّة. على أنّ القياس لا يعدو أن يكون مفتاحاً من مفاتيح هذه الظاهرة، تَتَفتَّح به أبواب وتستعصي أخرى، وهذا راجع إلى أنّ الظاهرة اللغويّة، رغم أنّها ثمرة من ثمار العقل؛ إلا أنّها لا تخضع دائماً للتحليل العقلي أو المنطقي. فما يُعَدُّ منطقيّاً في لغة ما نجد ضدّه في لغة أخرى، بل قد تجد ضده في اللغة ذاتها.

فالقياس من مستلزمات التفكير اللغوي، بوصفه وسيلة هامّة في التعامل مع اللغة. ولا بّد لنا من إظهار أهميته في ظاهرة المذكّر والمؤنّث.

ومن المعالم القياسيّة التي يُتَهدَّى بها في المَيْزِ بين المذكّر والمؤنث ما عُرِف بعلامات التأنيث، وهي كما أَوْرَدَت كتب اللغة: «للمؤنّث علامات ثلاث»[(١)] الهاء كما في قائمة، والألف الممدودة كما في حمراء والألف المقصورة كما في حُبْلى. ولكن هذه العلامات الثلاث لا تكفي وحدها في الميز بين المذكّر والمؤنّث. فالعربيّة من أكثر اللغات الساميّة ميلًا إلى التدقيق والتخصيص، وقد أدرك أبوبكر الأنباري تعدد علامات التأنيث في حديثه عن المذكّر المؤنّث، فلم يَقْتَصِر على هذه الثلاث، بل تجاوزها إلى جُلّ ما من شأنه أن يَمِيْز المذكر من المؤنث، فَذَكَرَ خمسَ عشرة علامة قال: «اعلم أن للمؤنث خمس عشرة علامة، ثمانٍ منها في الأسماء وأربعٌ في الأفعال، وثلاثٌ في الأدوات»[(٢)]

---

(١) الفرّاء ص ٥٧، وانظر أبا البركات بن الأنباري ص ٦٣، والتستري ص ٤٧.

(٢) أبوبكر الأنباري ص ١٦٦.

فأمّا اللاتي في الأسماء فالألف المقصورة (ليلى)، والألف الممدودة (حمراء)، والتاء (أخت)، والهاء (طلحة) والنون (هُنّ) والكسرة (أنتِ) والياء (هذي) والألف والتاء في الجمع (مسلمات).

وأمّا اللاّتي في الأفعال فالتاء (قامتْ)، والياء (تضربين)، والكسرة (قمتِ) والنون (قُمْن).

وأمّا اللاتي في الأدوات فالتاء (رُبَّتَ)، والهاء (لات = لاه)، والهاء والألف (إنّها).

وقد فرَّقت العرب بين المذّكر والمؤنّث بجعل علامة خاصة بالمذكّر في بعض الكلمات فيقولون في تذكير، عَقْرَب عُقرُبان وفي تذكير ثَعْلب ثُعْلُبان. وقد نصّ القدماء على أن هذه الألف والنون لميز المذكّر من المؤنث. ولم يَفُت ابن عصفور أن يقارن بينها وبين تاء التأنيث «فعَدَّ الألف والنون تجريان مجرى تاء التأنيث، ولذلك إنّما يُصغّر من الاسم، الذي يكونان فيه، الصدرُ كما أنّه لا يُصغّر من الاسم الذي فيه تاء التأنيث إلّا صدره»[1].

ولا نعلم أنّ هذه الطريقة في التذكير قد استعملت في غير العربيّة من أخواتها السّاميات. فالعربيّة تَمْهَر في التوسعة على ذاتها بطرائق جديدة. فكلمة ثعلب أو عقرب وما شاكلها تدل على الجنس مذكراً ومؤنثاً على حدّ سواء. ولما استدعت الحاجة إلى إظهار الذكور دون الإناث جيء بالألف والنون، على نحو ما حصل حين استدعت الحاجة إظهار الإناث فجيء بعلامات التأنيث.

---

(١) ابن عصفور ١٦٣/١ هذا عن الألف والنون التي تلحق بالأسماء، والكلام نفسه يقال في الألف والنون اللتين تلحقان بالصفات: نحو: عطشان وغضبان لأنهما كما قال ابن جني في اللمع ص ٢٥٥ ضارعتا ألف التأنيث في نحو حمراء وصفراء.

وقفة تأصيلية على بعض علامات التأنيث

ونحاول فيما يأتي أن نقف وقفة تأصيليّة مقارنة على بعض هذه العلامات:

أولًا: التاء التي فتح ما قبلها:

وهي تدخل على الأسماء المعربة غالباً، نحو: فاطمة، وكريمة، وجميلة، وقد تدخل على المبنيّات كما في: مَنَة[1].

ويَشْتَرِط النحاة أن يكون ما قبل هذه التاء مفتوحاً، قال ابن يعيش «تاء التأنيث لا تكون في الأسماء المفردة إلّا وقَبْلَها مفتوح، نحو: حمزة، وطلحة...»[2]، وقال السِّيرافي: «والتاء الزائدة للتأنيث هي التي يَلْزم ما قبلها الفتحةُ ويوقف عليها بالهاء، كقولنا: دجاجة وما أشبه ذلك»[3]. ولذا رفض ابن منظور أن تكون التاء في «بنت» للتأنيث، وذلك لسكون ما قبلها[4].

ونجد التاء التي فُتح ما قبلها علامة على التأنيث في غير العربيّة من السّاميات، فكلمة dann - um في الآكاديّة تعني «قويّ» وهي مذكّر (أصل الكلمة dann وأما um فهي ضمة وميم، وهما التميم الذي يقابله التنوين في العربيّة) أمّا تأنيث هذه الكلمة فقد تَمّ بإضافة فتحة وتاء (at) على الكلمة المذكّرة فأصبحت الكلمة (dann - at - um) dannatum أي: قويّة.

ومن علامات التأنيث في العبريّة أن تنتهي الكلمة بالتاء التي فُتح ما قبلها، نحو شِناتْ šenāt ومعناها: سِنَة أو نوم، أو بالهاء التي فُتح ما قبلها، نحو: يَلْداه[5] yaldāh ومعناها: بنت.

---

(١) من «مَن» الاستفهاميّة، انظر ابن منظور (منن) وانظر ص٢٩ من هذا البحث.

(٢) ابن يعيش ٥٥/١.

(٣) سيبويه ٢٢٢/٣.

(٤) انظر ابن منظور (بنو).

(٥) المقابل الحرفي لهذه الكلمة بالعربيّة: وَلَدَةٌ باعتبارها مذكّر: ولد، ويقابل الياء في العبرية الواو في العربية. ولم يجر الاستعمال بهذا المقابل في العربيّة.

ويبدو أنّ الفتحة التي تسبق تاء التأنيث جِيْء بها في الأصل لغرض صوتيّ ساميّ، وهو التخلّص من توالي السواكن: فلو وُقِف على كثير من الكلمات المؤنثة دون أن تحرّك بحركة الإعراب لقيل في نحو: كلْبْ: كلْبْتْ، فالتقى أكثر من ساكنين، ثمّ جِيْءَ بالفتحة بين الباء والتاء لكسر حِدَّة الثقل المترتب على توالي السواكن، فقيل كَلْبَت (= كَلْبَة) وهذا ما حصل في الأكادية حيث أصبحت كلمة: كَلْب Kalb - um حين تأنيثها كَلْبَت (kalb - at - um).

ومما يؤكّد أنّ الفتحة طارئة تَبَايُنُ موْقِعِها في هذه اللغات، فالعربيّة مثلًا تَضَعُها ـــ كما رأينا ـــ قبل التاء، وكذا فعلت الأكاديّة إلّا أنّ الأكادية حين يؤنّث المذكّر المنتهي بساكنين فيها، نحو: «نَكْرْ» nakr (عدواني)، و «صِخْرْ» ṣeḫr (أي: صغير) فإنّها قد تتخلّص من التقاء السواكن[1] المتماثلة عند التأنيث، ليس عن طريق فتحة تسبق تاء التأنيث، وإنّما بتحريك أحد الساكنين اللّذين في المذكّر، وعلى هذا تصبح كلمة nakr بعد تأنيثها nakar - t - um «عدوانيّة» بدلًا من nakr - at - um. وأمّا الحركة التي استخُدمت في هذه الكلمة الأكادية فهي الفتحة.

وقد يكون المتحرك الذي يُؤتى به لهذا الغرض ليس الفتحة، وإنما الكسرة كما يحصل في بعض اللهجات العربيّة التي تَكْسِر الفتحة التي تسبق تاء التأنيث[2]. وهذا ما حَصَل في «صِخْر ṣeḫr» (ويقابلها في العربيّة: صَغير) فإن المؤنث الأكادي من هذه الكلمة هو: صِخِرْ تُم Ṣeḫert - um. ومن أمثلة ذلك في العبريّة أن تختم الكلمة بما يسمّى السيجول الذي يسبق تاء التأنيث، أي: بحركة مُمالة نحو الكسر، كما في إيمِتْ ĕmèt ومعناها «الحقيقة».

---

(١) وهي السواكن المتمثلة في الساكنين اللذين انتهى بهما المذكر أصلًا، مضافاً إليهما تاء التأنيث.

(٢) وقد حصل هذا في اللهجات قديماً وحديثا. قال سيبويه ٤/١٤٠ سمعت العرب يقولون: ضربت ضَرْبِهْ، وأخذت أخذِه، وشبه الهاء بالألف فأمال ما قبلها كما يميل ما قبل الألف، وقال ابن عقيل في كتابه «المساعد» ٤/٢٩٦: «وإمالة الفتحة قبل هاء التأنيث في الوقف مطردة»، ومثل هذا ما يحصل في بعض اللهجات الدارجة اليوم حيث يمال ما قبل تاء التأنيث في: فاطمه وكريمه.

ويذكّر هذا بما يحصل في بعض اللهجات العربيّة الحديثة حيث يقال في: أَخَذْتُ: أَخَذِتْ، فقد حِيْلَ دون التقاء الساكنين بكسرة بدلًا من الفتحة، وهو ما حصل أيضاً في الكلمات الساكنة الوسط حيث يقال في: بنْت وهِنْد: بِنِت، وهِنِد، ومن الفصيح أن يقال «نَهْر» و «نَهَر» بالتسكين في الأولى والفتح في الثانية.

ولم تختص هذه التاء بالدلالة على المؤنث، فقد أشار القدامى[1] إلى تعدّد وظائف التاء، فهي لفصل الواحد من الجنس، نحو «تَمْرة» من: «تَمْر»، وزائدة كأشاعِثة وزنادقة، وللمبالغة كراوية. ومن أمثلة عدم دلالتها على التأنيث في العبريّة: «لَيْلَه» לַיְלָה ومعناها «ليل» وهي مذكرة وقد انتهت بالهاء، وهي من علامات التأنيث في العبريّة، وأصلها تاء ثمّ قُلبت هاء كما هي الحال في تاء التأنيث في العربيّة عند الوقوف عليها[2].

ولعلّ في عدم اقتصارها في الدلالة على المؤنث ما يشير الى مرحلة في عمر اللغة كانت التاء فيها عنصراً لغوياً له دلالات شتّى ــ كما هي الحال في كلمات كثيرة مادتها اللغويّة واحدة، ولكن مجالاتها اللغويّة ودلالاتها المعنويّة متنوعّة وقد أخذت التاء مع الزمن تميل إلى التخصّص وتغليب جانب الدلالة على المؤنث. ويرجّح هذا الرأي أن استخدامنا المعاصر للغة أبرز ــ أكثر من أي زمن سابق ــ مقدار التخصّص في وظيفة التاء، بالتخفّف من استخدام الألفاظ المذكّرة التي انتهت بعلامات تأنيث نحو: فهّامة وعلّامة وما شاكلها.

وأكثر من هذا أنْ أخذ الاستعمال يميل إلى اطّراد التأنيث بالتاء في بقايا الكلمات العتيقة التى جاءت مؤنثة بدون أن تكون مادتها من جنس مذكّرها، فقيل في:

---

(١) انظر ابن هشام (أوضح..) ٢٨٨/٤.

(٢) اختلف القدماء في تاء التأنيث، قال ابن يعيش ٨٩/٥ «وفي هذه التاء مذهبان أحدهما وهو مذهب البصريين أن التاء الأصل والهاء بدل منها، والثاني وهو مذهب الكوفيين أن الهاء هي الأصل».

عجوز وعروس وفرس وأتان: عجوزة وعروسة وفرسة وأتانة، وقد أشار ابن هشام إلى هذه الظاهرة حين اعتبر التاء الداخلة على نعجة ليست للتأنيث بل لتأكيد التأنيث[1]، أو كما قال أبوبكر الأنباري: للاستيثاق وإزالة الشك عن السامع[2].ولا يتنافى هذا مع ما سبق ذكره في الحديث عن التأنيث القياسي. فإن الرغبة في اطّراد القاعدة يُعَدّ وحده مسوِّغاً لدخول تاء التأنيث على هذه الألفاظ ونحوها. بل لعل هذه الأسباب ونحوها من دواعي اطّراد التأنيث القياسي.

---

(٢) انظر ابن هشام، (أوضح...) ٢٨٨/٤.

(٣) انظر أبابكر الأنباري ص ٨٩.

ثانياً: التأنيث بالتاء من غير فتحة تسبقها

ويبدو أنّها ــ دون فتحةٍ تسبقها ــ هي الأصل. وقد عدّها الجمهور في نحو: أُخت، وبنت، وهَنْت، ليست للتأنيث، وذهبوا إلى أنّها عِوض عن الواو المحذوفة، إذ أصل «بنت» مثلًا: «بَنَوَ». قال ابن منظور في تاء «بنت»: «وليست التاء فيها بعلامة تأنيث كما ظنّ من لا خبرة له بهذا اللسان[1]، وذلك لسكون ما قبلها»[2]. وفي حديث ابن منظور عن «أخت» قال: «وليست التاء فيها بعلامة تأنيث كما ظنّ من لا خبرة له بهذا الشأن، وذلك لسكون ما قبلها. هذا مذهب سيبويه، وهو الصحيح.. على أنّ سيبويه قد تسمّح في بعض ألفاظه في الكتاب، فقال: هي علامة تأنيث، وإنّما ذلك تجوّز منه في اللفظ لأنّه أرسله غفلًا وقد قيّده في باب ما لا ينصرف»[3] وأمّا عبارة سيبويه الموهمة هذه فهي قوله: «وأمّا بنت فإنك تقول بَنَوِيّ من قِبَل أن هذه التاء التي هي للتأنيث لا تَثْبُت في الإضافة كما لا تثبت في الجمع بالتاء»[4]. ويتضح موقف سيبويه من هذه التاء في نحو: بنت وأخت، من قوله: «ولو كانت كالهاء لما أسكنوا الحرف الذي قبلها، فإنّما هذه التاء فيها كتاء عِفْريت»[5].

(١) بيّنا سابقاً أن أبا بكر الأنباري ص ١٦٦ كان ممن عدّوا هذه التاء للتأنيث.

(٢) ابن منظور (بنا).

(٣) ابن منظور (أخا)، وانظر ابن منظور (هنا) وسيبويه ٣/٢٢١، ٣٦١، ٣٦٣ وابن يعيش ١/٥٣.

(٤) سيبويه ٣/٣٦٢، وهو رأي الخليل بن أحمد، وانظر سيبويه ٣/٣٦٣.

(٥) سيبويه ٣/٢٢١.

ولا يخفى أنّ الألف في (ابن) مجتلبة بسبب سكون الباء في أوّل الكلمة[1]، وعند تأنيث هذه الكلمة رُوعي في ذلك الأصل بدون ألف الوصل، فقيل: بنت، وكان لا بدّ من تحريك[2] الباء تحاشياً للبدء بساكن، عندئذٍ لم يلزم فتح ما قبل تاء التأنيث لجواز التقاء ساكنين في آخر الكلمة ـــ كما مرّ ذكره. كما روعي عند تأنيث (ابن) دخول همزة الوصل فقيل: ابنة، ومن المرجّح أنّ هذه الصّيغة أحدث استعمالًا من «بنت»، لأن «بنت» هي الصيغة المبنيّة على الأصل، وهي الصيغة الواردة في اللغات الساميّة. وقد فُتح ما قبل تاء التأنيث لزوماً، وإلّا لَنُطقت بسكون: الباء، والنون، والتاء عند الوقف. وتوالي السواكن غير جائز، أو لالتقى ساكنان في الوسط عند الوصل، وهذا غير جائز أيضاً، فكان المَخْرَج من هذا كلّه أن يفتح ما قبل تاء التأنيث.

وهكذا يتبيّن صلة «ابنة» و «بنت» بـ «ابن» أمّا ابن سيدة فقد أنكر الصلة بين: ابن وبنت[1].

فالتاء غير المسبوقة بفتحة هي الأصل في تاء التأنيث، وقد حافظت العربيّة على هذه الشواهد الأثريّة الدالة على ذلك. ولْنَنْظر إلى هذه الظاهرة ماثلة في «ابن» ومؤنَّثِهِ «بنت» من خلال ورودها في اللغات الساميّة الآتية:

---

(١) إنّ الألف في (ابن) كمثلها في (است)، جيء بها تحاشياً للبدء بساكن وهي تسقط من اللغات السامية التي لا تبدؤها بساكن، فهي في العبرية شيث שֵׁת ومعناها «است» وفي السريانية شيث ܫܶܬ وفي الأكادية شتو، بيد أن التاء أصلية، يبدو ذلك من إلحاق الهاء بها للتأنيث، ففي العربية سته وفي العبرية «شته» وفي البونيه: اشته. انظر جزينيوس ص ٨٦٦.

(٢) حُركت الباء هنا بالكسر، وأما في الجمع: «بنات» و «بنون» فقد حُركت بالفتح، وقد حدث هذا في العبرية فأصبحت ben بالكسر وهي المفرد banim بالفتح وتعني أبناء. وتعاور الفتح والكسر أمر حاصل في اللغات السامية. وعكس هذا ما جرى في «سنة» بالفتح التي أصبحت عند الجمع «سنون» مكسورة. وفي جمع قناة: «قنون» بضم القاف وكسرها.

(٣) انظر ابن منظور (بني).

	العربيّة	الأكادية	السبأية	العبريّة	الآراميّة
المذكّر	(ا) بن	بن bin	ب ن bn	بين bēn	بَر bar[1]
المؤنّث	بنت	بنت bint	بنت bent	بث bat[2]	بَرثا bartā

ولا يخفى من هذا الجدول ما سبق من أنّ التقاء الساكنين في آخر الكلمة جائز. وقد حدث ذلك في التقاء تاءالتأنيث من هذا المثال بالحرف الذي قبله، من غير أن يُفصَل بينهما بمتحرّك.

وقد احتفظت بعض اللغات الساميّة بهذه الظاهرة على نطاق أوسع مما بقي من آثارها في العربيّة. ويوضح الجدول الآتي بعض الألفاظ الساميّة التي راوَح فيها لفيفٌ من اللغات الساميّة بين الاحتفاظ بهذه الظاهرة ــ أي «التأنيث بالتاء غير المسبوقة بفتحة ــ والتاء التي سُبقت بفتحة، كما يوضّح الجدول أيضاً كيف أنّ بعض اللغات الساميّة لم تلجأ إلى الأداة في تأنيث بعض الألفاظ.

(١) تقابل هذه الراء الآرامية ما يجرى في بعض اللهجات العربية حتى الآن في جنوب الجزيرة (عسير) حيث يقال: فلان بر فلان، أي: ابن فلان، وقد وردت هذه اللهجة في النقش العربي الذي يعود إلى سنة ٣٢٨م) انظر بعلبكي ص ١٢٤. وعلى أي حال فإن هذه الراء ليست أصلية، فهي من آثار تبادل الراء والنون بدليل أنها تعود إلى أصلها في صيغة الجمع الآرامية.

(٢) وأصلها bant وأصل هذه: bint كما في العربية. انظر جزينيوس ص ١٢١.

العربيّة	الأكادية	العبريّة	الآراميّة	العربيّة الجنوبيّة
أَمَةٌ	amtu	ʾāmā	amṯā	amát
ضَرَّة	ṣerretu	ṣārā	ʿarrṯā	ḍar
شُنْبُلَة	šubultu	šibbóleṯ	šebbeltā	sabl
كُلْيَة	kalītu	kiliā	kolīṯā	kelīt
لَيْلَة	līlātu	làilā	leliā	lēlīt
قوس	qaštu	qèšeṯ	qeštā	qast

يتّضح من الكلمات التي تظهرها هذه الأمثلة أن العربيّة التزمت التاء المسبوقة بفتحة في جميع الأمثلة التي ظهرت عليها علامة التأنيث. أمّا الأكادية والآراميّة فقد كانتا تراوحان بين التاء المسبوقة بساكن والتاء المسبوقة بمتحرّك. وأمّا العبريّة فقد انتهت فيها معظم الكلمات بألف التأنيث في نحو: ليلى ونجوى، مما يرجّح أن تكون هذه الألف منقلبة في الأصل عن تاء — كما سنبيّن لاحقاً عند الحديث عن ألف التأنيث.

ولعلّ الكلمات المؤنثة التي لم تظهر عليها علامة تأنيث، نحو: قوس و sabl و ḍar تمثّل الوضع الأصلي لوضع هذه الكلمات قبل أن تسري عليها قاعدة التأنيث بالعلامة. ويُعَدّ إلحاق علامة التأنيث بهذه الألفاظ في بعض اللغات الساميّة أمراً مُسَوَّغاً؛ فاللغة تميل إلى البساطة، واطّرادُ القواعد ضربٌ من ضروب التبسيط. ومن أمثلة ذلك في الأكادية أن دخلت التاء على «كبد» فقيل kabittu (التاء الأولى تقابل الدال في كبد، والتاء الثانية هي تاء التأنيث. ومن ذلك في الأكادية أيضاً batūltu ومعناها: البتول. وقد أنثت هذه الكلمة في العبريّة بالهاء בְּתוּלָה «بتولاه»، وأمّا في السريانيّة فقد دخلت عليها تاء التأنيث ܒܬܘܠܬܐ

من بقايا التأنيث بالتاء التي سَكَن ما قبلها

ذكرنا من أمثلة التأنيث بالتاء التي جاء ما قبلها ساكناً: بِنْت، وأُخْت وهَنْت، وقلنا إنّ هذه الألفاظ هي بقايا من أثر هذه الظاهرة الساميّة القديمة؛ وشواهدها في غير العربيّة من شقيقاتها الساميات أوسع انتشاراً وأكثر عددا.

ونودّ أن نشير هنا إلى بعض ما يمكن أن يُحمل على هذه الظاهرة من ألفاظٍ انتهت بتاء مسبوقة بساكن. ونشير أيضاً إلى تفسير النحاة واللغوين القدامى للتاء الواردة في أواخر هذه الكلمات.

١ ـــ مَنْة (=مَنْت): وهي مِن «مَن» الاستفهاميّة. جاء في «اللسان» أنّه يجوز أن يقال: مَنو، ومَني في المفرد، رفعاً وخفضاً؛ ومَنانْ ومَنَيْن في المثنّى رفعاً، وخفضاً، ونصباً؛ ومَنِيْن، ومَنون في الجمع. وقال ابن منظور: «وتقول في المرأة: مَنَهْ ومَنْتان ومَنات، كلّه بالتسكين وإن وصلت قلت: مَنةً يا هذا ومنات يا هؤلاء»[1].

وقال ابن يعيش: «فإن قال: رأيت امرأة. قلت: مَنْهْ ومَنْت كما يقال: ابنة وبنت، وإذا قال هاتان امرأتان. قلت: مَنْتان. وإذا قال: رأيت امرأتين أو مررت بامرأتين. قلت مَنْتَيْن بإسكان النون كأنّه ثنّى مَنْت فقال: مَنْتان كما يقال: بِنْتان وثِنْتان»[2].

ويبدو أن فتح النون في «مَنَه» عند الوقف كان طارئا وليس أصليّاً، إذ الأصل تسكينُ النون كما يَحْدث عند الوصل، فيقال: مَنْت، وأما فتح النون عند الوقف فإنه يساعد على إظهار الهاء. وهذا قياس على ما ذهب إليه الليث في تفسير فتح النون في هَنَه عند الوقف، لإظهار الهاء، فإذا وصلت قلت: هَنْت[3]. وممّا يدل على أن الأصل تسكين النون في مَنْت أن الكلمة أصلًا مبنيّة فهي من «مَن».

(١) ابن منظور (منن)، وانظر فيشر (١٩٠٤) ص ٨٧١.

(٢) ابن يعيش ١٥/٤.

(٣) انظر ابن منظور (هنت).

٢ ــ **كلتا**: وقد عدّها سيبويه وابن جنّي وابن منظور وغيُرهم مما أُبدلت فيه الواو إلى تاء، وهو الرأي الذي ذهبوا إليه في: أخت وبنت.. وقال ابن يعيش: «وقد اختلف العلماء في هذه التاء، فذهب سيبويه إلى أن الألف للتأنيث، والتاء بدل من لام الكلمة. كما أبدلت منها في: بنت وأخت.. وذهب أبوعمرو الجرمي إلى أن التاء للتأنيث والألف لام الكلمة كما كانت في «كلا»[١]. وثمة وجه آخر يذكره أبوبكر الأنباري[٢] وهو أنّ الألف ألف تثنية.

ولا أرى مانعاً يمنع من أن تكون «كلتا» من «كل» باعتبارها اسم جمع نحو بَقَر، فلّما أردنا أن نفرده قيل: كِلْت[٣] كما في: بقرة من بقر، وحمامة من: حَمام، وكما ثُنّيت بقرة فقيل: بقرتان قيل في تثنية كِلْت: كلتا، وقد حذفت النون لأن التعبير بـ «كلتا» يلازم الإضافة. وعلى هذا تكون «كلا» صيغة المثنى المذكر قد جاءت في مرحلة لاحقة، حيث اقتضى القياس أن تذكّر «كلتا» فقيل في تذكيرها: «كلا» وقد شجع على هذا أن الكلمة سقط مفردها المؤنث من الاستعمال أو كاد.

٣ ــ **ذات**: ذهب سيبويه إلى أن أصل هذه الكلمة ثلاثي، وأن التاء عِوَض من لام الكلمة المحذوف، فهي على وزن «فَعْل» في الأصل واستدل سيبويه على ذلك بأن المحذوف يعود إلى الكلمة إذا نسبْتَ، فقلتَ: ذَوَويّ. قال: «وكذلك الإضافة إلى ذات: ذَوَوِيٌّ، لأنك إذا أضفت حذفت الهاء فكأنك تضيف إلى «ذي» »[٤].

ولكن التاء في «ذات» ــ بصرف النظر عن أصلها ــ تدل عند القدماء على التأنيث. جاء في اللسان: «وقال الليث في تأنيث ذو: ذات. تقول: هي ذات مال»[٥].

---

(١) ابن يعيش ٥٥/١، وانظر ابن منظور (كلا).

(٢) انظر أبا بكر الأنباري ص ٦٧٤.

(٣) انظر شاهد «كلْتِ» الذي اورده أبوبكر الأنباري ص ٦٧٤

في كلت رجـليها سلامـى واحـدة　　　كلتـاهما مقرونـة بزائـدة.

(٤) سيبويه ٣٦٧/٣ ويقصد سيبويه بالإضافة: النسبة وانظر الجوهري (ذا).

(٥) ابن منظور (ذو وذات)، وانظر ابن يعيش ٥٣/١.

وأجازوا الوقوف على ذات لتصبح التاء هاء. قال ابن منظور: «فإذا وَقَفْتَ فمنهم من يدع التاء على حالها ظاهرة في الوقوف لكثرة ما جرت على اللسان، ومنهم من يرد التاء إلى هاء التأنيث، وهو القياس»[١].

ويقارن بعض علماء الساميات[٢] بين ذا وذات في العربيّة و זה (זוֹ) zō بمعنى: «هذا»، و זאת zōt بمعنى «هذه» في العبريّة، والمقابلة قائمة، لا يحول دونها اختلاف المعنى بين العربيّة والعبريّة فالمعنى الإشاري يظل قائماً بين استعمال اللغتين لهما و «ذا» في العربيّة كالعبريّة: اسم إشارة أيضاً. كما أن كلتا اللغتين ميّزت فيهما بين المذكّر والمؤنّث. وعلى غرار «ذا» و «ذات» يمكن أن تُعالج «أولو» و «أولات»

٤ ـ **ذَيْتَ وكَيْتَ**: من قولك: كان ذيت وذيت، وكان كيت وكيت.

قيل في «ذيت» و «كيت» إن تاءهما عِوضَ عن واو محذوفة، ويرى أصحاب هذا الرأي أن أصلهما: ذَيّوٌ وكَيّوٌ ثم حذفت الواو فبقي الاسم على حرفين فشدِّد ثم عُوِّض من التشديد التاء[٣].

٥ ـ **ثِنتان**: وهي مؤنث «اثنان»، وأمّا الواحد المذكر فهو: الثِّني وقال ابن منظور في «الثِّني»: «واحد أثنان الشيء أي تضاعيفُه». أمّا عن أصل التاء في ثنتان فيقول ابن منظور: «والمؤنّث: الثنتان، تاؤه مبدلة من ياء؛ ويدلّ على أنّه من الياء أنّه من ثنيت؛ لأن الاثنين قد ثُني أحدهما إلى صاحبه. وأصلُه: ثَنَيٌ، يدلّك على ذلك جمعهم إيّاه على أثناء بمنزلة أبناء وأخاء فنقلوه من فَعَلٍ إلى فِعْلٍ كما فعلوا في بِنْت. وليس في الكلام تاء مبدلة من الياء في غير افتعل إلّا ما حكاه سيبويه من قوله اسْنَتوا، وما حكاه أبوعليّ من قولهم ثنتان»[٤].

---

(١) ابن منظور (ذو وذات).

(٢) انظر جزينيوس ص ١٩١ وبروكلمان (١٩٠٤) ص ٥٢١، وفيشر (١٩٠٤) ص ٨٧١ وبارث (١٩٠٣) ص ٦٣٦.

(٣) انظر: ابن منظور (ذو، ذوات)، وانظر: ابن عصفور ٣٨٨/١.

(٤) ابن منظور (ثني) وانظر ابن عصفور ٣٨٨/١.

٦ ـــ **عِفْريت**: تعدّدت الأقوال في هذه الكلمة؛ فمنهم من عدّها ثلاثية فهي عندهم من «عفر» والياء زائدة، ومنهم من عدّها رباعيّة، على أنّ الياء فيها أصليّة، فهي على وزن فِعْلِلَة. والرأيُ الأولُ أصحُّ؛ لأن الياء ـــ كما قال ابن منظور ـــ «لا تكون أصلًا في بنات الأربعة». وقيل في ياء عفريت: جيء بها للإلحاق بالرباعي نحو شِرْذمَة. أمّا التاء فقيل للإلحاق بنحو: قنديل[١].

ويجعل الخليل للكلمة شكلين تأتي عليها: عِفْرِيَةٌ وعِفرِيْت. «إذا سَكَّنْتَ الياء صَيَّرت الهاء تاء وإذا حرّكتها فالتاء هاءٌ في الوقف»[٢]. فالتاء ـــ على هذا الرأي ـــ هي الهاء، كما هي الحال في: بنت وابنة، والفرق بينهما هو أن هاتين الصيغتين تدلّان على المؤنث، أمّا عفريت وعفريَة فيوصف بهما المذكّر والمؤنّث. ولا شأن للفرق المعنوي هنا من الناحية الشكليّة اللغويّة. إذ قد تدل صيغة المؤنث على المذكّر كما في: رَجُل علّامة وفهامة، وراوية، وهي صِيَغٌ منحتها التاء صِفَةَ المبالغة. وهذا التحليل يلتقي بنا مع ما أورد ابن منظور من أن التاء في عِفْرِيَة تدل على المبالغة. قال ابن منظور: «والياء في عِفْرِيه وعُفارية للإحاق بشِرْذِمَة وعُذافِرة والهاء فيهما للمبالغة»[٣].

وذهب بعض علماء السّاميات إلى أنّ ما جاء على وزن عفريت ونِفْريت هو من آثار احتكاك العربيّة باللغات الساميّة الشماليّة وبخاصة الآراميّة[٤].

إن ما قيل في عفريت يمكن أن يقال نحوه في ما شكلها، نحو: صِفْريت، وعُزْويت، وسِبريت (=سُبروت) ويضيف بعضهم إلى ذلك «خُروت» جمع خُرت (الثُقب) وهِيْت[٥] وسَبْت.

---

(١) انظر هذه الآراء لدى ابن منظور (عفر).

(٢) المصدر السابق (عفر).

(٣) ابن منظور (عفر).

(٤) انظر فيلبي (١٨٩٢) ص ١٦٧.

(٥) انظر فيشر (١٩٠٤) ص ٨٧٤.

ومن ذلك حانوت، فقد عدّ اللغويون التاء فيها زائدة، وقالوا هي بدل من الواو (حنو). ولا يمنع مانع من أن تكون هذه التاء للتأنيث وأن الكلمة ثنائية الأصل. ومما يؤكد ذلك أن الشكل الآخر لهذه الكلمة قد جاء بتاء التأنيث التي فُتح ما قبلها فقيل في حانوت: حانة[1].

٧ ــ **اللّات**: قال ابن منظور «واللات صَنَم لثقيف، وكان بالطائف، وبعض العرب يقف عليه بالتاء، وبعضهم بالهاء، وأصله لاهةٌ، وهي الحيّة كأن الصّنم سُمّي بها، ثمّ حُذِفَت منه الهاء»[2]. ويقرِّر ابن منظور وابن سيدة أن الألف فيها زائدة. ويذكر ابن منظور رأياً لابن بري قال فيه «حقُّ اللاتِ أن تُذْكَر في فصل «لوي»»، لأن أصله: لَوَيَة مثل «ذات» من قولك: ذاتُ مال. والتاء للتأنيث. ويذكر رأياً ثالثاً لسيبويه جوّز فيه سيبويه أن يكون «لاهٌ» أصل اسم الله تعالى. قال الأعشى:

كدعــوةٍ من أبي ربــاحٍ يَسْمعــا لاهُـــه الكُبـــارُ

ولعلّ رأي سيبويه أقرب الآراء إلى ما يمكن أن يُقرر في أصل هذه الكلمة في ضوء علم الساميات، إذ نجد أن اسم لفظ الجلالة «الله» يعود في اللغات الساميّة إلى الأصل el أي: ألف مكسورة ولام بمعنى: القوة والقدرة. ومن معاني الإلـه في العربيّة: القادر والقوي. ومن هذا الأصل جاءت كلمة «إلوهيم»[3] ʼelohīm في العبريّة، وفي الآرامية «إلاه» ʼelāh وفي الأكادية «إلُ» ʼilu وفي السريانية «ألاه» ʼalāh وفي العربيّة الجنوبيّة אלה . وقد جاءت هذه الكلمة مؤنثة في بعض اللغات الساميّة، ففي العربيّة الجنوبيّة جاء إلى جانب صيغة المذكر صيغة المؤنث אלהת [4] وفي العربيّة «اللّات».

---

(١) انظر ابن منظور (حنا).

(٢) ابن منظور (لَوَه).

(٣) الياء والميم في آخر هذه الكلمة هي علامة الجمع في العبرية، ويجمع لفظ الجلالة في العبرية من باب التعظيم، وتفسر لنا هذه النهاية ما نجده في العربية في «اللهم» فالميم هنا للتفخيم والتعظيم وليست للعوض كما يقول النحاة، بل هي نظيرة الياء والميم في هذه الكلمة من اللغة العبرية. انظر ربحي كمال ص ٥٥٤ ــ ٥٥٥.

(٤) انظر جزينيوس ص ٣٦، ٣٩ ــ ٤٠ وانظر فلهاوزن ص ٦٩٩.

فإذا أردنا أن نستأنس بعلم الساميات في هذه الكلمة كان علينا أن نتصور أنها ثنائية الأصل وأن الهاء أو التاء إنما هي في الأصل للتأنيث. وقد تكون الهاء من مقتضيات الوقف على صوت المدّ الذي يعقب الأصل الثنائي فأصبحت إل: «إلاه» كما هو النطق في العربيّة والآرامية والسريانية أو: إلوه كما في العبريّة. أمّا التاء فلا مسوغ لوجودها إلّا أن تكون للتأنيث.

ولا يستبعد أن تكون التاء في مثل «لاهوت» تاء التأنيث، ويشارك العربيّة في هذه الصيغة اللغةُ الآرامية. وقد شك ابن منظور في أن تكون هذه الصيغة عربيّة. قال: «وأمّا لاهوت فإن صحّ أنّه من كلام العرب فيكون اشتقاقه من لاه ووزنه فَعَلُوت مثل رَغبوت ورَحَموت»[1]. وقد ذهب بعض علماء الساميات إلى أن ما جاء على وزن فَعَلوت هو من آثار احتكاك العربيّة بالسريانيّة. وقد ردّ هذا الرأي بعض علماء السّاميّات قائلًا: «لا نحسب كلمات من نحو «رَكَبوت»، و «حَلَبوت»، و «خَلَبوت» إلّا عربيّة نشأت على أرض عربيّة»[2].

إن من شأن اللغات السامية أن تؤنّث بالتاء وحدها (t) دون أن يُفتح ما قبلها، ومن شأنها أيضاً أن تؤنث بتاء مفتوح ما قبلها (at) كما في فاطمة، وقد تُمَدُّ الحركة التي تسبق التاء بالضم كما في لاهوت، وقد تُمَدّ بالكسر كما في medrītu وتعني بالأمهرية[3] «الأرض» وقد تُمَدّ بالفتحة، الطويلة (أي الألف) كما في: حماة. وهذا يقتضي أن نأخذ بثنائية هذه الكلمة وأمثالها نحو: غضاة، وقطاة، ولهاة، وإيلات. ومن أمثلة ذلك في الأكاديّة aššātu (أي: أُنثى) و kallātu (ومعناها:عروس) ومن السريانيّة hemāṯā ومعناها: حَماة، وقد جاءت مُمالة نحو الضمّ في العبرية hamot ومُمالة إلى الكسر بالأكادية emētu[4].

---

(١) ابن منظور (لوه).

(٢) فيليبي ص ١٦٧.

(٣) انظر بروكلمان (١٩٠٨) ١/٤٠٩.

(٤) انظر بروكلمان (١٩٠٨) ١/٤١٠.

تاء التأنيث أم تاء العِوَض؟

ليسبويه ومن سار على مذهبه منطلق موحَّد من هذه الكلمات الثنائية التي تضمّنت تاء التأنيث وسواها، نحو: أب وحم وبنت وهنت إلى غير ذلك مما عالجه في باب الإضافة إلى ما فيه الزوائد من بنات الحرفين[1]. ويأتي نَفْيُهم لاعتبار التاء للتأنيث من منطلقهم في تقدير أصلٍ ثلاثي لهذه الكلمات، فراحوا يُفتِّشون عن الحرف الثالث ويقدرون وجوده إن لم يظهر، ويقدّرون التاء عوضاً منه.

إن الانطلاق في تفسير كثير من هذه الكلمات على أنّها أحادية أو ثنائيّة الأصل له ما يسوّغه، فهي مؤلّفة من حرف، كما في «ذا»؛ أو حرفين، كما في «ثنتان»، وقد رأينا كيف أنّ الجذور الساميّة لهذه الكلمات تشير إلى ثنائيتها أو أحاديتها، وأنّ هذا الأصل الثنائي كان قابلًا للتوسّع الاشتقاقي، الذي هو من ألزم متطلبات التطور اللغوي في أسرة اللغات الساميّة على وجه الخصوص. وكان من مظاهر هذا التوسع مدّ صوت العلة في آخر الكلمة كما في: حمو، وأبو وأبي، وأخا، وفقاً لأصول لغويّة وظيفيّة، كمراعاة حالات النصب والجر والرفع وكان من هذه المظاهر أيضاً أن يُضاف إلى الكلمة التاءُ لتقوم بدور وظيفيّ وهو الدلالة على التأنيث، وهو أمر لا يقبل الجدل، فهل من شك في أن التاء وحدها هي التي تفرّق بين المذكّر والمؤنّث في: كلا وكلتا، واثنان وثنتان، وابن وبنت، وذا وذات؟ فهي للتأنيث وإن لم يكن ما قبلها متحركاً .

---

(١) انظر سيبويه ٣/٣٦١.

إنّ أحداً من القدماء لم يشك في أن التاء في «مَنْت» ليست عِوضاً، بل هي للتأنيث، وهي من الكلمة الثنائية المبنيّة «مَنْ» وقد سُبقت تاء التأنيث فيها بساكن، بل قاسوا: مَنَه ومَنْت بـ: هَنَه وهَنْت، وقفاً ووصلًا، فلِمَ لا نَعُدُّ «هَنْت» من أصل ثنائي هو: «هَنْ» ثم لحقت بها علامة التأنيث ؟

ولعلّ من دعائم الرأي القائل: إن التاء في نحو: عِزْويت وعِفْريت، والتاء في نحو: رَحَموت ومَلَكوت، للتأنيث أن نجد نظيراً لهذه التاء في بعض اللغات الساميّة. فمن علامات التأنيث في العبريّة التاء المسبوقة بياء ساكنة المسمّاه (حِريق جَدُول ـِי) والتاء المسبوقة بواو ساكنة المسماة (شروق). ومثال الأولى:

תַּגְלִית تَجْلِيت (ومعناها: اكتشاف، ويقابلها بالعربيّة «تَجْلِية» من: جلا) و: חָבִית حابِيت ومعناها خابية). ومثال الثانية: מַלְכוּת مَلْكُوت ومعناها: مملكة، و אֲצִילוּת أصِيلُوت ومعناها: أصالة أو نُبل.

ومما يمكن أن يُقدّم دليلًا على أن التاء التي سُبقت بساكن في نحو أخت وما شاكلها تاءُ تأنيث أن نجد بعض الكلمات التي انتهت بتاء فُتح ما قبلها في العربيّة نحو «خالَة» قد جاء نظيرها في بعض اللغات الساميّة مؤنثاً بتاء تأنيث مسبوقة بساكن. ففي بعض اللهجات الحبشيّة يقابل «خالة» ḥāltū «حلتو»[١] أي: خالة. ومن ذلك أيضا أن ما يقابل كلمة تَمْرَة العربيّة كلمة tamart في الحبشيّة ومعناها: نَخْلَة. وحتى التاء التي فُتح ما قبلها في نحو: «سَنَة» فإن التاء فيها ليست للعِوض، بل هي للتأنيث، فقد استعملت هذه الكلمة في بعض اللغات الساميّة بصورتها الثنائية دون أن تلحق بها علامة التأنيث[٢].

---

(١) وهذا ما يحصل أحيانا في بعض اللهجات العربية الدارجة. ويبدو ذلك جليا حين تضاف، نحو: خالة وعمة وكريمة.. إلى الضمائر: خالتي، كريمتي..

(٢) جاءت في الآرامية القديمة بدون تاء هكذا šnn انظر «ديجن» ص ٥١.

ولعلّ مما يؤكد ثنائية كثير من الألفاظ العربيّة التي عُولجت على أنّها ثلاثيّة أنْ تَرِد نظائر هذه الألفاظ على صورتها الثنائية في لغات ساميّة أخرى تضمّنتها نصوص موغلة في القدم. ومن ذلك أنّ كلمة «واحد» التي نجدها في المعجم تحت المادة الثلاثية (وحد) قد جاءت في الآرامية القديمة بأصلها الثنائي חד «حَدْ» ومعناها «واحد» ومؤنثها بالألف كما في العربيّة חדא «حدى» أي: إحدى. وما تزال العربيّة تحتفظ بكلمة «سبت» بمعنى أسبوع[1] وقد جاءت هذه الكلمة من «سب» (= שב بالآراميّة القديمة) وقد أضيفت إليها العين فأصبحت «سبع» (وفي الآرامية שבע إلى جانب שב) وتدل في اللغات الساميّة على الرقم (٧)، وقد أضيف إلى الصورة الثنائية تاء التأنيث فصارت «سَبْت» ومن معانيها في العربيّة «أسبوع» وفي الآرامية حصل الشيء نفسه فقد أُضيف إلى الأصل الثنائي שב «شب» (ومعناها: سبع) تاءُ التأنيث فأصبحت الكلمة שבת ومعناها أيضاً أسبوع. ولا ننسى أن ننوِّه بأن كلمة السبت وردت في العربيّة من حيث الجنس كـ «أسبوع» وكلتاهما مؤنثتان. والسبت هو اليوم السابع في الأسبوع فليس غريباً أن يكون أصل معناه ذا علاقة بالرقم (٧). ومما يؤكد ذلك أن اليوم الذي يليه هو الأحد ويقابله الرقم (١) فالاثنين فالثلاثاء.. وكلها أرقام تؤكد التسلسل الذي ينتهي بالرقم (٧) أي «السبت»، إلّا «الجمعة»[2]

وفي ختام هذا الحديث عن أن التاء التي سكن ما قبلها في أخت وبنت وما شاكلها هي تاء التأنيث ننوه بما يأتي:

ــ ما قاله الفرّاء من أن التاء في: بنت وأخت تصير هاء عند التصغير، فتقول: بُنَيّة وأُخيّة[3].

ــ ما أورده سيبويه عن يونس من أجازة النسبة إلى نحو: أخت وبنت فيقال: أُخْتيّ وبِنْتي وثنتيّ[4].

---

(١) انظر ابن منظور (سَبَت) فقد نص على أنّ من معاني «السبت»: الأسبوع.

(٢) إن تسمية يوم الجمعة بهذا الاسم تسمية إسلاميّة. وقد كان يعرف في الجاهلية بالعَروبة.

(٣) انظر هذا الرأي للفراء لدى أبي بكر الأنباري ص ١٣١.

(٤) انظر سيبويه ٣/٣٦١، ٣٦٣.

ــــ إن طريقة التأنيث بالتاء التي سكن ما قبلها ظاهرة قديمة في اللغات السامية، وقد احتفظت العربيّة بهذه الشواهد القليلة عليها، والشواهد في غير العربيّة كثيرة نسبيّاً كالأكادية والآرامية والعربيّة الجنوبيّة[1] والحبشيّة[2] والسريانية[3].

ــــ لو كانت التاء تعويضاً عن الواو فلماذا لم يعوّض عن الواو المحذوفة في نحو: ابن وأخ[4] وهن. فالوجه، إذن، أن هذه التاء للتأنيث، بيد أن عدم توالي السواكن لم يستدع الإتيان بالفتحة التي مرّ بنا أنها استقدمت للتخلص من توالي السواكن.

---

(١) انظر بروكلمان (١٩٠٨) ص ٤٠٤ وما بعدها.

(٢) انظر بريتوريوس ص ٨٧.

(٣) انظر بروكلمان (١٩٨١) ص ٥٥، ونولدكه (١٨٩٨) ص ٤٨ وما بعدها.

(٤) ضُمت همزة أخ عند التأنيث فصارت أُخت، أما في العبرية فظلت مفتوحة، وقد كسرت في الحبشية فهي eht، على غرار «بنت» وفي الحبشية bent. وقد عرفت اللهجات العربيّة الحديثة الحالات الثلاث: الضم والفتح والكسر.

ثالثاً: ألف التأنيث

وهي في العربية على نوعين: الألف الممدودة كما في صحراء،والمقصورة كما في ليلى. ويؤكد النحاة أنّ هذه الألف أو تلك لا تختصّ أيٌّ منهما بالدلالة على المؤنّث، فقد تنتهي كلمةٌ ما بالألف المقصورة دون أن تكون مؤنثة الدلالة، نحو: رجل زِبَعْرى (سيّء الخلق) وجمل قَبَعْثَرى (ضخم شديد) ومما انتهى بالألف الممدودة دون أن يكون مؤنثاً: رجل عَياياء وطَباقاء، وبُسْر قَرِيْثاء، وأُسراء، وفُقهاء[1].

ولعلّ الألف بنوعيها قد تطوّرت في الأصل عن التاء ومما يؤكّد هذا أن التاء إذا وُقف عليها قد تُنطق هاء كما في فاطمهْ، وسيرهْ[2]، وطلحهْ.وقد حصل في العبريّة ــ كما بيّنا ــ أن أصبحت تاء التأنيث هاء في كثير من الكلمات نحو: מִלְחָמָה «مِلْحَمَاه» ومعناها: حَرب. والهاء قريبة المخرج من الألف.وقد يكون للنّبر[3] أثر كبير في مدّ هذه الألف المحولة عن الهاء، فإن كان المدّ يسيراً كانت ألفاً مقصورة، وإن كان مدّاً طويلًا يوشك النَّفسُ معه أن ينتهي انتهت هذه الألف بالهمز. والتبادل بين المقصور والمدود يحصل[4] في العربيّة، كما في البكا والبكاء «سُمع فيه القصر والمد»[5] والمينا والميناء[6]. ومن الألفاظ المؤنثة التي ورد فيها المدّ والقصر: صنعا وصنعاء، والوفا والوفاء، والأصل مدّها»[7]. والغناء والغنى[8]: (ضد الفقر) ومن ذلك: السَّنا والسناء وهو نَبْتٌ. قال الوشاء: «يجوز قَصْرهُ ومدّه»[9].وقد حصل

---

(١) انظر لمزيد من الأمثلة على النوعين: التستري ص ٤٨.

(٢) انظر ابن عصفور ٤٠٢/١.

(٣) لاحظ كيف تنطق «فاطمة» حين تُنادى في اللهجة المغربية مثلًا.

(٤) نص القدماء على ذلك، فجوزوا قصر المدود ولم يجيزوا العكس. قال الوشاء «وقد يجوز قصر المدود، ولا يجوز مد المقصور»، وتحدث ابن هشام عن التبادل بين المقصور والمدود في أوضح المسالك ٢٩٦/٤.

(٥) الوشاء ص ٣٣.

(٦) انظر الزبيدي ١٨ ــ ١٩.

(٧) ابن هشام (أوضح...) ٢٩٦/٤.

(٨) ابن هشام (أوضح...) ٢٩٧/٤.

(٩) الوشاء ص ٣٣.

التبادل بين الألف والتاء، كما في مَغْنى ومغناة، ومِذْرى ومِذْراه، ومعنى ومعناة[1] وجُمعت الشاة على: الشاء. كما حصل التبادل بين الألف المقصورة والهمزة فقيل في حبلى عند الوقف: حُبْلأ[2].

ويقال في وصف المرأة: «امرأة ولْهى ووالِه والهة وميلاه»[3] ويظهر من هذا المثال كيف أن العربيّة جَمَعت وجوهاً متعدّدة من التطور التاريخي للكلمة، فواله وَصْف بدون علامة تأنيث، ولعلّه الأقدم، ثم والهة تأنيث بالتاء،ووَلْهى تأنيث بالألف المقصورة.

ولا يخفى أنّ اللهجات الحديثة يغلب عليها التخفف من الألف الممدودة في نحو: صحراء وحمراء، فقد تنطق هذه وأمثالها بالهاء أو الألف المقصورة: «صحرة» أو «صحرا». وقد حدث هذا وعكسه قديماً فقيل: السِّعلاة، بالتاء،والسعلاء، والسِّعلا. قال ابن منظور «وكذلك السِّعلا، يمدّ ويُقصر»[4]. وورد في تأنيث كسلان: كَسِلَة وكَسْلى وكَسْلانة وكَسُول ومِكْسال[5]. وقيل في تأنيث سكران: سَكِرَةٌ وسَكَرى وسَكْرانَة[6]. ونُقل عن أهل الأندلس وصقلية أنهم كانوا يؤنثون بالألف مكان التاء فيقولون: فَرَس وَرْدا، أو ورداء بدل وَرْدة، وقِرْفاء وحُلبا بدل قرفة وحُلبة، وجارية عزباء بدل عزبة قياساً على نحو: صحراء،والغُمّيْضة بدل الغمّيْضَى والغمّيْضاء، ودِفْلة بدل دِفْلى[7].

---

(١) انظر أبابكر الأنباري ص ٦٦٠.

(٢) انظر ابن عصفور ٣٢٥/١.

(٣) ابن منظور (وله).

(٤) ابن منظور (سعل).

(٥) انظر ابن منظور (كسل) والجوهري(كسل).

(٦) انظر الجوهري (سكر) وابن منظور (سكر).

(٧) انظر مطر ص ٢٧٣ ــ ٢٧٤.

أمّا عن وجود الألف علامة على التأنيث في اللغات الساميّة فإن الألف الممدودة قليلة الاستعمال في هذه اللغات. وأمّا الألف المقصورة فقد عرفتها بعض اللغات الساميّة كالعبريّة والآراميّة[١] وقد حدثت المراوحة بين الألف والتاء في الآراميّة كما حدث في العربيّة. فالأعداد: إحدى חדא ، وثلاثة תלתא ، وستة שתא، وثمانية תמניא جاءت مؤنثة بالألف. أمّا الأعداد: أربعة ארבעה، وخمسة חמשה ، وسبعة שבעה ، وتسعة תשעה ، وعشرة עשרה فقد جاءت مؤنّثة بالهاء، وهي تاء عند الإضافة حين توصل، كما هي الحال في العربيّة والعبريّة.

---

(٥) انظر بروكلمان (١٩٠٨) ص ٤١٠ و «بيرجشتريسر» ص ١١٥ و «دلمان» ص ١٢٥.

الجمع وعلامات التأنيث

يُعَدّ الجمع بالألف والتاء أظهر علامات جمع المؤنث في العربيّة[1]، وهي السائدة في اللغات الساميّة، فهي في العبريّة ألف وتاء، كما في العربيّة، غير أنّ ما يقابل الألف والتاء في العربيّة ألف مُشمَّة بالواو וֹת وتاء في العبريّة. وهي نفس الألف والتاء السريانيّة بطريقة نطق السريان الغربيين حيث تجمع «روحو» rūḫō على: «رُوحوثو» rūḫōṯō, أمّا السرّيان الشرقيون فينطقونها بالمدّ المفتوح على نحو ما تُنطق بالعربيّة «روحاثا»[2] rūḫāṯā. وتَسْتخدم الأكاديّة الألف والتاء كذلك، نحو bussurtum «سفارة» وتجمع على bussurātum. وقد تأتي الألف ممالة في الأكاديّة إذا كان المفرد فيه حرف إمالة أصلًا (e)، فكلمة elletum «طاهرة» تجمع على ellētum. ويُذكّر هذا بما يجري في العربيّة حين تُجمع فاطمة، على فاطمات، بإمالة الميم في فاطمة[3] نحو الكسر، وإمالة ألف جمع التأنيث في فاطمات.

وتميل العربيّة ــ كغيرها ــ إلى اطّراد قواعدها، ويظهر هذا في جمع المؤنث، فما انتهى بتاء التأنيث، نحو: فاطمة وكريمة يجمع بالألف والتاء: فاطمات وكريمات، وكذا في: فتاة، وبنت، ومُصْطَفاة، فهي تجمع على القاعدة نفسها: فتيات، وبنات، ومصطفيات.

وتَطَّرِد قاعدة الجمع بالألف والتاء أيضاً فيما لم ينته بتاء التأنيث، فيجمع نحو: دعد وهند وزينب على دعدات وهندات وزينبات، وتجمع صفات المرأة: الصبور والجريح والحبلى، على: صبورات وجريحات وحُبليات. كما يجوز في صحراء وكُبرى وما شاكل ذلك مما انتهى بغير التاء من علامات التأنيث أن يجمع بعلامة الجمع المطَّردة في المؤنث وهي الألف والتاء، فيقال: صحراوات وكُبريات.

---

(١) قد يوقف على التاء في جمع المؤنث كما يوقف عليها في المفرد، قال ابن عصفور ٤٠٣/١: «وحكى قطرب عن طيّء أنهم يفعلون ذلك بالتاء من جمع المؤنث السالم، فيقولون: «كيف الإخوة والخواه، وكيف البنون والبناه؟»».

(٢) الألف في آخر الكلمة هي أداة التعريف بالسريانية.

(٣) وقد أشرنا إلى هذا سابقا عند الحديث عن التاء التي فتح ما قبلها انظر ص٣١

وكما اطّردت هذه الظاهرة في العربيّة فقد اطّردت أيضاً في أخواتها السّاميات، فمن ذلك في الأكاديّة ekallum ومعناها: قَصْر، وهي مؤنثة بغير علامة تأنيث ولكنها جُمعت بالألف والتاء ekallātum و ellepum ومعناهـا: سفينـة، وهـي بدون علامـة تأنيث وجمعها ellepātum بالألـف والتـاء. ومـن ذلك في العبريّـة: يعـار יַעַר ومعناهـا: غابـة، و «زِروع» Zerōᶜ ومعناهـــا: ذراع و «حَلّــون» חַלּוֹן ومعناها: نافذة، فإنها تُجمع وأمثالها بزيادة علامة جمع المؤنث וֹת

مع أنّ مفرداتها لم تنته بأيٍّ من علامات التأنيث، ومن ذلك في السريانية: «رُوحا» rūḥā ومعناها: الروح، و «عينا» ᶜaynā ومعناها: عين الماء فإنها تجمع ــ على خلوّها من علامات التأنيث في المفرد ــ بالألف والتاء. فيقال rūḥāṯā و ᶜaynāṯā.

بيد أنّ هذه القاعدة لا تطّرد دائماً؛ فقد نجد ألفاظاً في العربيّة مؤنثة ولكنها تُجمع بغير الألف والتاء، كما في عُنُق: أعناق، وصَفاة: صُفيّ أو أصْفاء، وسنة: سِنون، ويجوز، في «عِصِيم» ومعناه: عَظْمة أن تجمع بالعبريّة على قاعدة جمع المذكر، أي بإضافة ياء ساكنة وميم: عِصِيم. وكذا: شَنَه שָׁנָה ومعناها «سنة» فإنه يجوز أن تجمع جمع مذكر «شنيم». وهذا ما حصل في العربيّة حيث جاز في سنة أن تجمع على سنين وعلى سنوات. ومن المؤنثات التي جاز فيها أن تجمع على غير قاعدة جمع المؤنث في اللغة السريانية: مِيلثا mēltā ومعناها «كلمة» وتجمع جمع المذكـر: مِيلي mēlē، و «جَنْثا» ganṯā ومعناها «جُنينـة» وجمعهـا على جمع المذكـر: gannē. أمّـا: ܫܢܬܐ šattā ومعناها «سنـة» فجُمـعت كذلك على غير ما يجمـع به المؤنث: ܫܢ̈ܝܐ šenāyā.

ونجد في بعض اللغات الساميّة ما نجده في العربيّة من ألفاظ مجموعة دون أن يكون لها مفرد من جنسها، نحو: نساء ومفردها امرأة، وفي السريانيّة نجد الكلمة نفسها ܢܫ̈ܐ nēsē ومعناها: نساء ومفردها ܐܢܬܬܐ attā ومعناها: أنثى أو امرأة. وفي الأكاديّة جاءت كلمة ṣummirātum ومعناها: «أماني» وهي جمع مؤنّث بدون مفرد.

ومن الظواهر المشتركة في اللغات الساميّة أن يُجمع المذكّر بأداة تأنيث؛ فيجمع «جَمَل» في العربيّة على: جِمال، وجمالة، وجمالات؛ و «رَجُل» على: رجال، ورجالات،، و «بيت» على: بيوت وبيوتات.

وتُجمع אב «آب» ومعناها: أبٌ ، جمع المؤنّث في العربيّة، فيقال אבות ، و שם «شيم» ومعناها: اسم، على שמות ، أي جمع مؤنث. ولو جُمعت هذه الأسماء المذكرة على طريقة جمع المذكر لقيل «أبيم» و «شميم».

ومن ذلك في الأكادية našpākum «نَشْباكم»، ومعناها: مَخْزَن وهي مذكّر، ولكنها جُمعت جَمْع مؤنَّث našpākātum. وجمعت «كَلْب» kalb في الحبشيّة ومعناها: كَلْب، على: «كلبات» kalabāt.

وثمّة ظاهرة معاكسة لهذه الظاهرة، وهي وجودُ ألفاظ مؤنّثة، بيد أنّها قد تُجمع جمع مذكّر، ومنها في العربيّة: أرض، وسنة، وعضة.. فهي تجمع على: أرَضون، وسنون، وعِضون. ومن ذلك في السريانيّة أن تجمع ساعة ܫܥܬܐ «شاعتا» — وهي مؤنثة — على «شاعى»و ܡܠܬܐ «ميلتا»ومعناها «كلمة»جُمعت على ܡ̈ܠܝܢ وهو جمع مذكر، وكذا: أي: «حنطة» جُمعت على ܚܛ̈ܝܢ . ومن العبريّة בֵּיצָה «بِيصاه» ومعناها: بَيْضَة وتجمع على בֵּיצִים «بيْصيم»، و שָׁנָה «شنه» ومعناها سَنَة، وتجمع على שָׁנִים «شَنيم».ويجوز جمعها على שנות أي: جمع مؤنث كما في العربيّة، إذ يجوز في سنة أن تجمع على سنون وسنوات.

التأنيث والتذكير في العناصر الإشاريّة

ونقصد بذلك الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة.

أولًا الضمائر:

١ ــ ضمائر التكلّم

لم تميّز اللغات الساميّة بين المذكّر والمؤنّث سواء فيما يتعلق بالمفرد أو الجماعة.

٢ ــ ضمائر الخطاب:

أ ــ في الإفراد:

تميّز العربيّة والحبشيّة والأكادية والعبريّة بين المذكّر المخاطب والمؤنّث المخاطب عن طريق الفتح والكسر، فالمذكّر مفتوح الآخر في هذه اللغات. أما المؤنّث فمكسور الآخر، هكذا: في العربيّة والحبشيّة: أنْتَ وأنْتِ، وفي الأكادية attāʼ للمذكر و attīʼ للمؤنث وفي العبريّة: attāʼ و att(i)ʼ. هذا مع ضمائر الرفع المنفصلة. والمبدأ ذاته ــ أي الميز بينهما من خلال الفتح والكسر ــ قائم في الضمائر المتصلة بالأسماء والأفعال، فكما تنتهي صيغة المذكر المخاطب في العربيّة مع الضمير المتصل بالاسم بالفتح نحو «كتابكَ»، ومع المؤنث المخاطب «كتابكِ»[1]، فإنها تنتهي كذلك في الأكادية والحبشية،غير أن الحبشية تمدّ صوت الكسر ليصبح ياء،وقد تفعل العبريّة كذلك فتمد صوت الكسر أو تسكنّ الكاف كما يحصل في العربيّة عند الوقف.

(١) وإمعانا في الفصل بين المذكر والمؤنث نجد أن بعض اللهجات العربية قديما وحديثا تقلب الكاف في نحو «ضربتكِ» شينا أو ما يشبه الشين، ولا يحصل هذا إلّا مع المؤنث، ومنه قول مجنون ليلى:

عَيناشِ عيناها وجيدُشِ جيدُها خلا أنّ عظم الساق مِنْشِ دقيق

انظر ابن عصفور ١/ ٤١١، وقد علل الفارسي هذا التبادل بين التاء والكاف بقوله «أبدل من التاء الكاف لاجتماعها معها في الهمس» العسكريات ص ٧٩.

ب ــ في الجمع:

أمّا عماد الميْز بين المذكّر والمؤنّث في جمع المخاطبين والمخاطبات في العربيّة فلا يقوم على مبدأ الاعتماد على الحركة: الفتح والكسر بل يعتمد بشكل أساسيّ على المفارقة الصوتيّة بين الصوتين الساكنين: الميم والنون. ففي المذكر «أنْتُم» وفي المؤنّث «أنْتُنّ»، وهو المبدأ نفسه في الحبشيّة antémmu' للمذكّر، و anten' للمؤنّث. وفي العبريّة attém' للمذكر، و attén (a)' للمؤنّث . وأمّا في الآرامية والسريانية والأكاديّة فيعود مبدأ الاعتماد على الحركة، وهي الضم والكسر للميز بينهما؛ ففي الآرامية antūn' للمذكّر و antēn' للمؤنّث، وفي السريانية attōn' للمذكّر، و attēn للمؤنّث، وفي الأكاديّة attunu للمذكّر، و attina للمؤنّث.

وعند اتصال ضمير الخطاب بالاسم أو حين يتصل بالفعل في محل نصب يقال في العربيّة: كتابكم وكتابكن، وضرَبهم وضرَبهن، أي أن الميز بين المذكّر والمؤنّث في الحالين يتم عن طريق اختصاص المذكّر بالميم والمؤنث بالنون على نحو ما مرّ في ضمائر الرفع (كُم) و (كُنّ). والقاعدة ذاتها تسري على الحبشيّة kemmū للمذكر و ken للمؤنّث، وفي العبريّة kēm للمذكّر و kēn للمؤنّث، وفي الآرامية kōm للمذكّر و kēn للمؤنّث، وقد خرجت على هذه القاعدة كل من السريانيّة kōn للمذكر، و kēn للمؤنث، والأكاديّة kun (u) للمذكر مع الأسماء و kina للمؤنث مع الاسماء. وبذا تكون هاتان اللغتان قد عادتا إلى الاعتماد على الحركات في الميز بين المذكر والمؤنث.

٣ ــ ضمائر الغيبة:

أ ــ في الإفراد:

تطرد قاعدة الضم والكسر في الميز بين المذكر والمؤنث في حال الإفراد إذا كانت الضمائر منفصلة. فصوت الكسر يميز المؤنث، وصوت الضم يميز المذكر، وبذا تختلف ضمائر الإفراد المنفصلة في الغيبة عن ضمائر الخطاب. فيقال في العربية «هو» مقابل «هي»، وفي العبرية والآرامية والسريانية hū (بمد الواو) مقابل hī (بمد الياء) وفي الأكادية šū مقابل šī بالمد فيهما وفي الحبشية we'etu مقابل ye'etī بمد الثاني.

أما إذا كانت ضمائر الغيبة ضمائر جر متصلة بالأسماء أو ضمائر نصيب متصلة بالأفعال، فإن المبدأ يختلف من جانب المؤنث، فهو يماز بالفتح. وأما المذكر فيبقى على الضم. فيفرق في العربية بين المذكرو المؤنث، بالضم مع المذكر، نحو: «كتابه» (=كتابُ + هـ+ ـُ) و «ضَرَبَهُ» (= ضَرَبَ + هـ + ـُ)، وبالفتح مع المؤنث نحو: «كتابها» (= كتابُ + هـ + ا) وضربها (= ضَرَبَ - هـ + ا). ولا تخرج الحبشيّة والعبريّة عن ذلك. أمّا الأكاديّة فاتخذت من الضم مميّزاً للمذكر، والكسر مميزاً للمؤنث في حال اتصال ضمير النصب بالفعل، وأما عند اتصاله بالاسم فقد اطّردت القاعدة كما في العربيّة، بيد أن صوت الفتح مع المؤنث قصير (أي: فتح بدل الألف).

ب — في الجمع:

تسير صيغ جمع الغائب، في الميز بين المذكّر والمؤنّث، في خطٍّ موازٍ لما سارت عليه في جمع المخاطب. أي باعتماد الميم للمذكّر والنون للمؤنّث، ففي الضمائر المنفصلة يقال في العربية (هُم)، والحبشية we'etōmu، والآرامية himmō (n)، والعبريّة hémma. أما المؤنث ففي العربيّة «هُنّ»، وفي الحبشية we'etōn والآرامية hennēn والعبريّة hēn (nā). ويستمر الخطُّ الموازي بين ضمائر الغيبة والخطاب في السريانية والأكادية، ولكن باعتماد الحركات فالضم للمذكر — في السريانية hennōn والأكادية šun (u) — والكسر للمؤنث — في السريانيّة hennēn والأكادية šina.

وتبقى الميم خاصة بالمذكر مع ضمائر الجر المتصلة بالأسماء، أو ضمائر النصب المتصلة بالأفعال، وذلك في كلّ من العربيّة «هم»، والحبشية ōmū و hōmū، وفي العبرية hḗm، والآرامية hōm. أما المؤنث في هذه اللغات فتميزه النون، ففي العربية هُنّ، وفي الحبشية ōn و hōn، وفي العبرية hénen، وفي الآرامية hēn. أما في السريانية والأكادية فتدخل النون في المذكرالمؤنث. أما الفيصل بين المذكر والمؤنث فهو الضم ويختص به المذكر (ففي السريانية hōn وفي الأكادية šunū)، والكسر ويختص به المؤنث (في السريانية hēn وفي الأكادية šina).

التذكير والتأنيث في أسماء الإشارة والأسماء الموصولة:

لو نظرنا في أسماء الإشارة المذكرة الآتية بالعربيّة: ذا (هذا)، تا، ذلك، فإن مؤنثها هو: ذي (هذي = هذه)، تي، تلك. ويؤخذ من هذا أن الفتح في «ذا» قابله الكسر في «ذي» والفتح في «تا» قابلة الكسر في «تي». وهذا يعني أن المفارقة بين المذكر والمؤنث قد تمت في هذه الكلمات من خلال اختصاص المذكر بالفتح على نحو ما حصل في الضمائر (أنتَ)،واختصاص المؤنث بالكسر على قياس (أنتِ). وليس هذا القياس بغريب، فالضمائر عناصر إشارية. يؤكد هذا أن اسم الإشارة المذكر في الأكادية annū ومعناه «هذا» يقابله بالعربيّة: أنا، ومؤنثه annītu ومعناه هذه، ويقابله بالعربية: أنتِ. ويلاحظ أن اسمي الإشارة الأكاديين قد اعتمدا في ميز المذكر من المؤنث على خص المؤنث بالكسر كما حصل في العربية (ذي) وبالتاء. وهذا ما صنعته العربية في اسم الإشارة (تي). ومما يؤكد أن التاء علامة تأنيث في أسماء الإشارة اطراد الاعتماد عليها في التأنيث سواء في العربية أو سواها. ولذا كنا نميل إلى أن (تا) الدالة على المذكر بالعربية قد استُحدثت في مرحلة تالية لاستخدام (ذا)، وقد كانت (تا) المفتوحة تذكيرا قياسيا لـ (تي) المكسورة.

وهكذا نرى أن المؤنث قد اختص بالكسر وثبت عليه في العربية في كثير من العناصر الإشاريّة، كأسماء الإشارة (ذي، تي، ذهِ، تهِ، هذي، هذهِ..) والضمائر (أنتِ، كتبتِ، كتابكِ..) وقد خالفت العربية في هذا كثيراً من اللغات الساميّة كالآرامية حيث جاءت فيها da بمعنى «هذه» دالة على المؤنث، وجاءت zā في الحبشية دالة على المؤنث و ze للمذكّر، ودلّت zē في العبرية على المؤنث و zo على المذكر.

ولكن اللغات الساميّة تتكىء على التاء أحيانا في ميز المذكر من المؤنث، كما في «ذلك» و «تلك»، و «أولو»،و «أولات»،و «ذا»،و «ذات». وفي العبرية أضيفت التاء إلى zo فأصبحت zōt ولم يكتف بالحركة وحدها للميز بين zē المذكرة و zo المؤنثة. وهذا ما فعلته الأكادية في annu «هذا» و annītu «هذه». ويكون الاتكاء على التاء في الميز بين المذكر والمؤنث لازماً إذا توقف الأمر على ذلك كما في «الذي»، و «التي»، و «اللذان»،و «اللتان»، و «هذان»،و «هاتان» وما شاكلها.

التذكير والتأنيث في الأفعال:

تمعن اللغات الساميّة بعامّة في فرق المذكر عن المؤنث إمعاناً، فإذا قابلنا بينها وبين بعض اللغات كالإنجليزيّة مثلا تبيّن مدى الفرف بينهما. فأنت تُبقي في الإنجليزية على الفعل go على حاله مع الضمائر جميعها[1] فتقول: I go, you go, he go, she go, they go, we go

وتقول بالعربيّة مثلًا: أنا أذهب، وأنت تذهب، وهو يذهب، وهي تذهب، وهما يذهبان، وهما تذهبان، وهم يذهبون، وهن يذهبن، ونحن نذهب.

إنّ مبعث هذا الفرق في تصريف الفعل ينهض على الرغبة أساساً في تنوع الضمائر، والتفريق الجليّ بين المذكر والمؤنث في العربيّة، وعدم التفريق بينهما أو ضيق التنوع في الإنجليزية. وهذه المفارقة تكاد تكون واضحة جليّة في العربيّة أكثر من سواها من أخواتها الساميات.وهي باهتة ضعيفة في الإنجليزية أكثر من كثير من أخواتها الهنديّة الأوروبيّة كالألمانيّة مثلًا، فإنها تلتقي مع الإنجليزية في عدم التفريق بين المذكر والمؤنث في تصريف الفعل. بيد أنها تفترق عنها في أن الفعل يبقى في الإنجليزية ثابتاً على حاله غالباً، ويعتمد على الضمير في تحديد المعنى، أمّا في الألمانية فيتنوّع تصريف الأفعال مع الضمائر Ich gehe, du gehst, er geht, sie geht, sie gehen, Sie gehen, Ihr geht, Wir genhen. (=أنـــا أذهب، أنت تذهب، هو يذهب، هي تذهب، هم (هن) يذهبون ،أنتم تذهبون (للتفخيم)، أنتم تذهبون، نحن نذهب).

ولننظر الآن إلى الكيفيّة التي سلكتها اللغات الساميّة في الميز بين المذكر والمؤنث على صعيد الأفعال.

(١) هذا هو الأعم الأغلب،وعلى العكس من ذلك I am, you are, he is

أ ـــ الفعل الماضي:

انظر إلى تصريف الفعـل «قَتَـل» في نموذج من اللغـات الساميّـة: العربيّـة، والحبشيّة، والعبرية، والآراميّة[1].

الضمائر	العربية	الحبشية	العبرية	الآرامية
الغائب	ḳátala	ḳatála	ḳâṭál	ḳĕṭal
الغائبة	ḳátalat	ḳatálat	ḳâṭĕlạ̄	ḳeṭlaṯ
المخاطب	ḳatálta	ḳatálka	ḳâṭáltā	ḳĕṭalt(ā)
المخاطبة	ḳatálti	ḳatálkī	ḳâṭált(ī)	ḳĕṭalt(ī)
المتكلم	ḳatáltu	ḳatálkū	ḳâṭáltī	ḳeṭleṯ
الغائبون	ḳátalū	ḳatálū	ḳâṭĕlū	ḳĕṭal(ū)
الغائبات	ḳatálna	ḳatálā	ḳâṭĕlū	ḳĕṭal(ā)
المخاطبون	ḳatáltum(ū)	ḳatalkémmū	ḳĕṭaltém	ḳĕṭaltōn
المخاطبات	ḳataltúnna	ḳatalkén	ḳĕṭaltén	ḳĕṭaltēn
المتكلمون	ḳatálnā	ḳatálna	ḳâṭálnū	ḳĕṭaln(ā)
الغائبان	ḳátalā	—	—	—
الغائبتان	ḳátalatā	—	—	—
المخاطبان	ḳatáltumā	—	—	—

ويؤخذ من تصريف الفعل في ضوء الجدول السابق ما يأتي:

١ ـــ أن اللغات الساميّة تميل بوجه عام إلى التخصيص (قارن ذلك باللغات الهنديّة الأوروبيّة، فهي لا تميل إلى التخصيص، ولذا كان من يتعلمون اللغة العربيّة من أبناء هذه اللغات يخلطون خلطاً كبيراً بين المذكر والمؤنث في تصريف الأفعال).

٢ ـــ أن العربيّة أكثر هذه اللغات عناية بالفرق بين صيغ المذكـر والمؤنث وأوفاها استيعاباً، فقد زادت على العبريّة بالميز بين الغائبات والغائبين، أمّا العبريّة فهي تخاطب الغائبات بما تخاطب به الغائبين، على نحو ما يحصل في كثير من اللهجات

(١) تجد هذا الجدول والجدولين اللاحقين لدى بروكلمان (١٩١٦).

العربيّة المعاصرة، وتزيد العربيّة على بقيّة اللغات المبيّنة في الجدول بصيغة المثنى مذكراً ومؤنثاً: قتلا وقتلتا[1].

٣ ــ لم تفرّق اللغات الساميّة بين المذكر والمؤنث على صعيد المتكلم المفرد والمتكلمين.وكأنما لسان الحال يغني عن البيان أكثر من الضمائر الأخرى التي رأى السّاميون أن الميل إلى الدقة يقتضي التحديد فيها، أما صيغة المثنّى للمخاطبين والمخاطبتين، وهي التي تجنبتها اللغات الساميّة، وأظهرتها العربيّة، فقيل: قتلتما، فإن العربيّة لم تخصّص، فهي لم تَفْصل المذكر عن المؤنث على نحو ما فَعَلت في نحو قتلتَ وقتلتِ،وقَتَلْتُم وقَتَلْتُنّ. ولعلّ السبب في ذلك أن التخصيص ذو وظيفة معنويّة، ولما كان المثنى قليل الاستخدام نسبياً فإن كثيراً من اللغات الساميّة لم تحدد له صيغة في كل أحواله، أمّا العربيّة فإن حاجتها إلى التخصيص لم تبلغ مبلغاً تحتاج معه إلى أن تخص المذكر منه بصيغة تميزه عن المؤنث، لقلة استعماله[2].

٤ ــ رأينا أنّ الحبشية استخدمت الكاف بدلا من التاء في: قتلكي وقتلكَ، مقابل: قتلتِ وقتلتَ، بالعربية وأخواتها الأخرى، ويذكر هذا بما جاء في العربية حيث «أُبدلت الكاف من تاء ضمير المخاطب في فعلتَ فقالوا فَعَلْكَ وأُنْشِد سُحيم قصيدة، فقال: أحْسَنْكَ واللهِ ، يريد أحسنتَ والله»[3].

٥ ــ مرّ بنا أن بعض اللهجات العربيّة كانت تبدل كاف الخطاب للمؤنث شيناً، وذلك إمعاناً منها في ميز المذكر عن المؤنث[4].

---

(١) وقد لا تكترث العربية أحياناً ــ كما يحصل في اللهجات المعاصرة ــ فلا تفرق بين المذكر والمؤنث في المثنى كما في قول زياد الأعجم:

إن السماحة والمروءة ضُمّنــا ... قبراً بمرو على الطريــق الــواضح

انظر ابن هشام (الشذور) ١٦٩.

(٢) لاحظ أن صيغ المثنى قليلة الاستعمال والتنوع في اللهجات العربية المعاصرة بالمقارنة مع الفصحى.

(٣) ابن عصفور ١/٤١٤.

(٤) انصر ص٥٥من هذا البحث.

٦ ـ تحدّثت كتب النحو[1] عن حالات قد يأتي معها الفعل غير مؤنث مع أن الفاعل أو نائبه يكونان مؤنثين، نحو: ﴿وما كان صلاتهم عند البيت﴾[2] و ﴿فانظر كيف كان عاقبة مكرهم﴾[3] ولا نعرف لهذا نظيراً في اللغات الساميّة.

ومّما لم يعرف عن اللغات الساميّة ما أجازته العربيّة في أن يعامل جمع التكسير، واسم الجنس معاملة المفرد المذكر، أو المفرد المؤنث، فجاز في جمع التكسير «وقال نسوة»[4] إلى جانب «قالت الأعراب»[5]. وجاز في اسم الجنس: أورق الشجر، وأورقت الشجر. قال ابن هشام «فالتأنيث في ذلك كله على معنى الجماعة، والتذكير على معنى الجمع»[6] أي كأنك قلت: قال جمع النسوة، أو قالت جماعة النسوة. وهو تعليل لطيف ولكنه لم يبين لنا لماذا لم يُقل: قلن نسوة، وقالوا الأعراب، وهي اللغة التي عُرفت لدى النحاة العرب باسم «أكلوني البراغيث»[7] وشواهدها في العربيّة ليست قليلة، وقيل هي لغة جماعة من العرب، ومن شواهدها قوله ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار»[8] وحمل على ذلك قوله تعالى ﴿وأسّروا النجوى الذين ظلموا﴾[9]. ومن ذلك في المثنى قول عبدالله بن قيس الرقيات:

تولّى قتال المارقين بنفسه ... وقد أسلماه مبعدٌ وحميمُ

ومنه مع جمع النسوة قول محمد بن عبدالله العُتبي:

رأين الغواني الشيت لاح بعارضي ... فأعرضن عنّي بالخدود النواضر

ومن هذا القبيل الحديث الشريف: «غضب عمران حتى احمرتا عيناه»[10].

إنّ هذه الظاهرة «أكلوني البراغيث» تمثّل أصلا تاريخياً ما تزال العربيّة تحتفظ له

---

(١) انظر ابن هشام (الشذور) ص ١٧٤.
(٢) سورة الأنفال، الآية ٣٥.
(٣) سورة النمل، الآية ٥١.
(٤) سورة يوسف، الآية ٣٠.
(٥) سورة الحجرات، الآية ١٤.
(٦) ابن هشام (الشذور) ص ١٧٥.
(٧) انظر ابن هشام (الشذور) ١٧٧.
(٨) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٣٧ باب فضل صلاتي الصبح والعصر ص ٤٣٩.
(٩) سورة الأنبياء الآية ٣ وانظر ما قاله ابن هشام حولها في شذور الذهب ص ١٧٩.
(١٠) صحيح مسلم، كتاب الإيمان ١٢ باب بيان عدد شعب الإيمان ص ٦٤ طبعة عبدالباقي.

ببعض الشواهد. وهي الأصل المطرد في كثير من اللهجات العربيّة المحكيّة، وهي القاعدة في غير العربيّة من أخواتها الساميات.ويبدو أنّ العربيّة قد خرجت على هذه القاعدة لسببين.

أولهما: الجنوح للسهولة واليسر، فأيسر على المستعمل أن يقتصر على نوعين من أنواع التصريف (قالت الأعراب) أو (قال نسوة) من أن يُعدِّد مع تعدد الصيغ: إفراداً وتثنية وجمعاً، مذكراً ومؤنثاً.

ثانيهما: أنك إذا أخرت الفعل لزمك التحديد والمطابقة فتقول: الرجل جاء والرجلان جاءا والرجال جاءوا والمرأة جاءت والمرأتان جاءتا والنساء جئن، وذلك لأن تقديم الفاعل يعني تحديده كمّاً وجنساً، ولذا جاء الفعل مطابقاً. أمّا إذا تأخر الفاعل وتقدم الفعل، فإن الفاعل يبقى قيد نيّة القائل؛ فله أن يقول: «ذهب» دون أن يعرف على وجه اليقين جنس الذاهب أو عدده أو قد يعرف ذلك ولكنه لأسباب بلاغية يريد أن يعمّي ذلك على السامع، فإنه يملك زمام الأمر في الفاعل فيفرده أو يثنيه أو يجمعه أو يؤنثه أو يذكره، بعكس ما لو كان صرح به قبل الفعل. بل قد يفصل بينه وبين الفاعل بكلام كما في قول الشاعر:

ما بَرِئَتْ من ريبةٍ وذمٍّ ... في حَربنا إلا بناتُ العمِّ[1]

فإن من حق الشاعر ــ نحوياً ــ أن يقول: «ما برىء»، بل الراجح أن يذكر والمرجوح أن يؤنث[2].

---

(١) انظر ابن هشام (أوضح) ص ٢١٤.

(٢) انظر ابن هشام (الشذور) ص ١٧٦.

ب ــ الفعل المضارع:

ولننظر كيف ميزت اللغات الساميّة بين المذكر والمؤنث في تصريف الفعل «يقتل» من خلال الجدول الآتي:

الضمائر	العربيـــة		الحبشـــية		العبرية	الآرامية	السريانية	الأكاديّـة	
	حالة الرفع	حالة الجزم	حالة الرفع	حالة النصب				الحدث المستمر	الزمن الحالي
الغائب	yaḳtulu	yaḳtul	yeḳátel	yekṭel	yikṭol	yikṭul	nekṭol	ikšud	ikašad
الغائبة	taḳtulu	taḳtul	teḳátel	tekṭel	tikṭol	tikṭul	tekṭol	takšud	takašad
المخاطب	taḳtulu	taḳtul	teḳátel	tekṭél	tikṭol	tikṭul	tekṭol	takšud	takašad
المخاطبة	taḳtulīna	taḳtulī	teḳatélī	tekṭélī	tikṭĕlī	tikṭĕlīn	tekṭlīn	takšudī	takašadī
المتكلم	ʼaḳtulu	ʼaḳtul	ʼeḳátel	ʼekṭel	ʼekṭol	ʼekṭol	ʼekṭol	ʼakšud	ʼakašad
الغائبون	yaḳtulūna	yaḳtulū	yeḳatélū	yekṭélū	yikṭĕlū	yikṭĕlūn	nekṭlūn	ikšudū	ikašadū
الغائبات	yaḳtulna	yaḳtluna	yeḳatélā	yekṭélā	tikṭolnā	yikṭĕlān	nekṭlān	ikšudā	ikašadā
المخاطبون	taḳtulūna	taḳtulū	teḳatélū	tekṭélū	tikṭĕlū	tikṭĕlūn	tekṭlūn	takšudū	takašadū
المخاطبات	taḳtulna	taḳtulna	teḳatélā	tekṭelā	tikṭolnā	tikṭĕlān	tekṭlān	takšudā	takašadā
المتكلمون	naḳtulu	naḳtul	neḳátel	nekṭel	nikṭol	ni kṭol	nekṭol	nikšud	nikašad
الغائبان	yaḳtulāni	yaḳtulā	—	—	—	—	—	—	—
الغائبتان	taḳtulāni	taḳtulā	—	—	—	—	—	—	—
المخاطبان والمخاطبتان	taḳtulāni	taḳtulā	—	—	—	—	—	—	—

إنّ ما يهمنا من هذا الجدول هو أن نوازن بين اللغات الساميّة فيما يتعلق بظاهرة التأنيث والتذكير، وتتمثل هذه الموازنة فيما يأتي:

١ ـــ تدأب اللغات الساميّة بوجه عام على أن يظهر الفرق بين المذكر والمؤنث في تصريف الفعل المضارع، والعربية في ذلك من أدأبها.

٢ ـــ لم تميز العربية ولا أخواتها الساميات في المضارع بين صيغتي المخاطب المذكر مفردا والغائبة المفردة من الناحية الشكلية اللغوية، وتركت الأمر في هذا الى السياق.

٣ ـــ فُرِّق بين المذكر الغائب المفرد وقبيله المؤنَّث بأن اخْتُصَّ المذكر بالياء والمؤنّث بالتاء (يقتل ـــ تقتل) ولم يخرج على هذا سوى السريانيّة في صيغة المذكّر، فقد كانت النون مع الغائب المفرد neqtol والتاء مع الغائبة المؤنثة.

٤ ـــ ولّما التقت صيغة المذكّر والمؤنَّث في المخاطب المفرد (تقتل ـــ تقتلين) على استخدام التاء حرفاً للمضارعة، كان من المتوقع أن يبحث عن وسيلة أخرى للفرق بينهما، وهي وسيلة مألوفة في الفرق بين المذكّر والمؤنّث، ألا وهي الكسر.

وعلينا أن نتذكر ـــ هنا ـــ أنّ التاء (تاء التأنيث) هي التي عُوِّل عليها في الميز بين المذكر والمؤنّث في هذه الصيغة من الماضي (قتل ـــ قتلت) وأمّا التاء في: تقتل ـــ تقتلين فهي منقولة عن تاء (أنتَ ـــ أنتِ) وهما الضميران الدالان على الخطاب. فالتاء هنا أعمق في الدلالة على الخطاب منها في الدلالة على المؤنث. ولذا انصرفت اللغات الساميّة إلى الكسر بوصفه وسيلة أخرى معتادة في الميز بين المذكر والمؤنّث (كما حصل في: أنتَ وأنتِ) وقد زادت بعض هذه اللغات (العربيّة والآراميّة والسريانيّة) النون بعد الكسر (تقتلين).والنون وسيلة أخرى مطروقة في الميز بين المذكر والمؤنث (هم: هن، لم يكتبوا: لم يكتبن..).

٥ ـــ وسار التفريق بين المذكّر والمؤنّث في المخاطبين والمخاطبات في خطٍّ موازٍ لما سار عليه مع الغائبين والغائبات، ولكن بالاعتماد على الحركات فحسب، إذ الضم علامة على المذكر والفتح علامة على المؤنث. ولم يتكأ على التاء كما حصل في صيغ

الغيبة. فالتاء ملازمة للخطاب في جميع أحواله تذكيراً وتأنيثاً وإفراداً وجمعاً. ولذا كانت الحركة هي العُمدة في الميز بين المذكّر والمؤنث في الخطاب.

٦ ــ لقد كان حرف المضارعة في كل من العربيّة والحبشيّة والآراميّة والأكادية هو الياء، وذلك في كلّ من الغائبين والغائبات. أمّا في السريانيّة فحرف المضارعة هو النون انسجاماً مع المفرد. وقد استوت في ذلك صيغة المؤنث مع صيغة المذكر. أمّا العبريّة فقد ميزت بين المذكّر والمؤنّث في الغائبين والغائبات بما مازت به بينهما في المفرد الغائب والغائبة، أي بالتاء، ثمّ استخدمت إلى ذلك الوسيلة الأخرى التي اعتمدت عليها معظم اللغات الساميّة الأخرى، ألا وهي الحركات؛ فكان الضم الطويل (الواو) علامة على المذكّر في جميع هذه اللغات، والفتح الطويل (الألف) علامة على المؤنث (إلّا في العربيّة فهو فتح قصير).

٧ ــ لم تفرّق اللغات الساميّة بين المذكّر والمؤنث مع المتكلم والمتكلمين فـ «أقتل» صيغة لا تميز بين المذكر والمؤنث، وكذلك: نقتل. ولم تميّز السريانية بين المفرد والجمع أيضاً، فـ neqtol في هذه اللغة ــ كما في بعض اللهجات العربيّة في مصر وشمال إفريقيا ــ تدل على المتكلم والمتكلمين تذكيراً وتأنيثاً.

٨ ــ تميّزت العربيّة بإفراد صيغ للتثنية. وقد ميّزت بين الغائبين والغائبتين (يقتلان ــ تقتلان) ولكنها لم تميّز بين المذكر والمؤنث في المثنى المخاطب، فأشارت إليهما بصيغة واحدة تقتلان).

ج فعل الأمر:

إن مبدأ تعامل اللغات الساميّة مع فعل الأمر هو من جنس تعاملها مع الفعل المضارع. انظر الجدول الآتي:

تصريف فعل الأمر

الضمائر	العربية	الحبشية	العبرية في الوصل	العبرية في الوقف	الآرامية	الأكادية
المخاطب	uḳtúl	ḳétel	ḳĕṭōl	—	ḳĕṭōl	kušud
المخاطبة	uḳtúlī	ḳetélī	kiṭĕlī́	ḳĕṭṓlī	ḳĕṭōl(ī)	kuš(u)dī
المخاطبون	uḳtúlū	ḳetĕlū	kiṭĕlū	ḳĕṭṓlū	ḳĕṭōl(ū)	kuš(u)dū
المخاطبات	uḳtúlna	ḳĕtélā	ḳĕṭōlnā	—	ḳĕṭōl(ā)	kuš(u)dā

المراجع

(وقد وردت مرتبة وفقاً للصورة المختصرة التي جاءت عليها أثناء البحث)

بارث (١٩٠٣) =

J- Barth, (C. Brcckelmann Die Femininendung t im Semitischen) angezeigt von j. Barth in:

ZDMG 57,1903 pp 628 - 635

أبو البركات بن الأنباري =

أبو البركات بن الأنباري (توفي ٥٧٧هـ)، البُلْغة في الفرق بين المذكرو المؤنث، تحقيق رمضان عبدالتوّاب، القاهرة ١٩٧٠م.

أبو بكر الأنباري =

أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، كتاب المذكر والمؤنث، تحقيق طارق عبد عون الجنابي، مطبعة العاني، بغداد ١٩٧٨.

بروكلمان (١٩٠٤) =

C. Brokcelmann, (Zur hebräischen Lautlehre) in: ZDMG 58, 1904, pp 518 - 524

بروكلمان (١٩٠٨) =

C. Brockelmann, (Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen) Bd, I, II, Berl in 1908 - 1913.

بروكلمان (١٩١٦) =

C. Brockelmann, (Semitische Sprachwisenschaft. Zweite verbesserte Auflage, Gernany 1916.

وله ترجمة إلى العربية، قام بها د. رمضان عبدالتوّاب.

بروكلمان (١٩٨١) =

C. Brockelmann, (Syrische Grammatik) 13. unverӓnderte Auflage 'leipzg 1981.

بريتوريوس =

F. Praetorius, (Ӓthiopische Grammatik), Karlsruhe und leipzig 1886

بعلبكي = رمزي بعلبكي، الكتابة العربيّة والسّاميّة، دار العلـم للمـلايين، بيروت ١٩٨١.

بيرجشتريسر =

بيرجشتريسر، التطور النحوي، طبعة رمضان عبدالتواب، القاهرة ١٤٠٢هـ ـــ ١٩٨٢م.

ابن التستري =

سعيد بن إبراهيم التستري (ت ٣٦١ هـ)، المذكر والمؤنث، تحقيق أحمد عبدالمجيد هريدي، القاهرة ١٤٠٣هـ ـــ ١٩٨٣م.

جزينيوس =

Wilhelm Gesenius (Hebrӓisches und Aramӓisches 'handwӧrterbuch uber das Alte Testament) bearbeitet von Dr. Frants Buhl 17. Auflage. Germany 1962.

ابن جني (خصائص) =

أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت (بدون تاريخ).

ابن جني (اللمع) =

أبو الفتح عثمان بن جني، اللمع في العربية، تحقيق حامد المؤمن، بغداد ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

ابن جني (المذكر) =

أبوالفتح عثمان بن جني، المذكر والمؤنث، تحقيق طارق نجم عبدالله، جدة ١٤٠٥هـ ـــ ١٩٨٥م.

ديجن =

Rainer Degen, (Altaramaische Grammatik der Inschriften des 10 - 8. JH.CHR. Wiesbaden 1969.

دلمان =

Gustaf Dalman, (Grammetik des Judisch - Palastinischen Aramaisch) Darmstadt 1981

الجوهري =

إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربيّة، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، القاهرة ١٩٥٦.

الزبيدي =

أبوبكر الزبيدي، لحن العوام، تحقيق رمضان عبدالتواب، القاهرة ١٩٦٤م.

سودن =

Wolfram von Soden, (Akkadisches Handworterbuch Bd. I-III, Otto Harrassowitz. Wiesbaden 1965.

سيبويه =

عمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٠هـ) الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن سيدة =

ابن سيدة الأندلسي، المخصص، بولاق ١٣١٦ ـــ ١٣٢١هـ.

ابن عصفور =

ابن عصفور الإشبيلي (ت ٦٦٩هـ)، الممتع في التصريف، تحقيق فخرالدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م.

ابن عقيل =

ابن عقيل، المساعد، تحقيق محمد كامل بركات، مطبوعات جامعة أم القرى ــ مكة المكرمة.

الفارسي =

أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، المسائل العسكريات، تحقيق إسماعيل أحمد عمايرة، منشورات الجامعة الاردنية، عمان ١٩٨١.

الفراء =

يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)، المذكر والمؤنث، تحقيق رمضان عبدالتواب، القاهرة ١٩٧٥م

فلهاوزن =

J. Wellhausen, (Zwei grammatsche Bemerkungen) in ZDMG 55, 1901, (PP 697 - 700).

فيشر (١٩٠٤) =

A. Fischer, (Miszellen) in: ZDMG 58, 1904, pp 871 - 875

فيشر (١٩٠٦) =

A, Fischer, (Das Geschlecht der Infintive im Arabischen) in ZDMG 60, 1906 pp - 839 - 859.

فيلبي =

M. Philippi, (Anzeign: Barth's Nominalbildung in den semitischen Sprachen, II, angezeigt von M. philipi in: ZDMG pp. 149 - 172.

ماريوپاي =

ماريوپاي، لغات البشر، ترجمة صلاح العربي، قسم النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ١٩٧٠.

مسلم =

الإمام مسلم، صحيح مسلم، طبعة محمد فؤاد عبدالباقي.

مطر =

عبدالعزيز مطر، لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، القاهرة ١٩٦٦.

ابن منظور =

ابن منظور الأفريقي (٧١١هـ) لسان العرب، دار صادر، بيروت (بدون تاريخ).

نولدكه (١٨٩٨) =

Theodor Noldeke, (kurzgefasste syrische Grammatik) zweite verbessete Auflage, Leipzig 1898.

ابن هشام (شذور) =

ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، شرح شذور الذهب، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد (بدون مكان وبدون تاريخ).

ابن هشام (أوضح) =

ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت ١٣٩٩هـ ـــ ١٩٧٩م.

الوشاء =

أبو الطيب الوشاء (ت ٣٢٥هـ)، الممدود، والمقصور، تحقيق رمضان عبدالتواب، القاهرة ١٩٧٩.

ابن يعيش =

موفق الدين بن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت (بدون تاريخ).

أخطاء وتصويباتها

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١١	٤	لص	يخلص
١٣	٧	«هو» أو «هي»	«أنتَ» أو «أنتِ»
٢٤	١٨	الإخيار	الإخبار
٣١	٢٢	مذكّر	مؤنّث
٣٨	٤	سُنْيُبَة	سُنْبُلة
٤١	١١	يعوَضَ عن	يعوَّض عن
٤١	١٥	أثنان	أثناء
٤٢	١٨	بسريت	بسبريت
٤٧	٧	سب	شب
٥٢	٢٤	٣١	٣٢
٥٩	٤،٣	go	went
٦١	١٥	شُجيم	شُحيم

مركز الكتاب العلمي
عمان - الاردن